المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الثاني والثمانين

١ مارس سنة ١٩٣٣ — ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥١

الازمة الاقتصادية العالمية[1]

واشتباك المصالح الدولية

مقدمة

بلغت بلدان العالم في سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ اعلى مستوًى بلغتهُ من النشاط الاقتصادي. فزاد الانتاج الصناعي والزراعي وارتفع مستوى المعيشة. ولكن مع ذلك ظلَّ جانبٌ لا بأس به من قوى الانتاج معتقلاً. ففي مختلف البلدان ملايين من العمال العاطلين وكثير من المعامل التي وقف فيها دولاب العمل ومخترعات كثيرة لم تطبق في المصانع. فلم يكن ثمة ما يمنع ان يدوم الرواج ويتسع نطاقهُ ويقلَّ العمال العاطلون ويرتفع مستوى المعيشة. وكان الشعور السائد في كل الدوائر الصناعية والاقتصادية شعورَ تفاؤلٍ وثقةٍ بالمستقبل، اذ ظنَّ الناس انهم واقفون عند حدٍّ فاصلٍ بين عهدين — عهدٍ سادت فيهِ المشكلات الاقتصادية الناشئة عن الحرب الكبرى وعهد جديد وقفوا على عتبتهِ وهو عصر رخاء شامل ويسر عام

ولكن الحالة انقلبت اي انقلابٍ في خلال سنة ١٩٢٩ و١٩٣٠ فالانهيار المالي الذي وقع في وول ستريت بمدينة نيويورك في خريف سنة ١٩٢٩ كان الانذار الاول بانقضاء عهد اليسر القصير. ومن الولايات المتحدة الاميركية امتدَّت الازمة من بلاد الى بلاد، وهي تزداد استحكاماً كلما اتسع نطاقها. واذا شبهنا هذه الازمة بموجةٍ طاغية، فالارجح اننا ما زلنا في حضيضها او ما يعيد الحضيض. بل اننا قد تعودناها الآن: فزال اثر الصدمة التي

(١) من محاضرة القاها رئيس تحرير هذه المجلة في جمعية الشبان المسلمين في القاهرة

شعرنا بها في بدء الازمة لما رأينا كل آمالنا القائمة على الثقة باليسر العام والرواج الدائم ، قد اصبحت موضع النقد . ولكننا وقد انقضت ثلاث سنوات على تلك الصدمة الاولى نستطيع الآن ، ان نقف من المسألة كلها موقفاً يمكننا من تبين اسبابها والبواعث عنها

* * *

كلنا نعلم ان الازمة عالمية . ولكن الصعوبة كل الصعوبة ان يجري اوتو الحل والربط على ان علاجها يجب ان يكون عالمياً. لان الامور التي اضطرب حبلها ، امور لا تستطيع بلاد ان تصلح شأنها من دون ان تتعاون مع الامم الاخرى . انظروا في مظاهرها الاساسية . من المتعذر ان تجدوا مظهراً واحداً من المظاهر التي يمكن حصرها في بلاد دون اخرى. فهبوط اسعار العروض عالمي . ومشكلتا العيار الذهبي وسقوط اسعار الفضة . لا تختصان بانكلترا والهند دون غيرهما . ثم هنالك مسائل التعويضات وديون الحرب، ان اكبر الامم مقاماً في العالم اليوم مشتبكة في شؤونها المعقدة. ثم هنالك من وراء كل هذا النظام المالي الدقيق الاحساس الذي يربط بلدان العالم ربطاً محكماً ، وينزل منها منزل الجهاز العصبي في الجسم الانساني . ثم ان رفع الجمارك على الواردات لحصرها، وترقية الصناعات في الشرق الاقصى لمزاحمة الصناعات الاوربية في تلك البلاد ، والديون التي للبلدان الصناعية الغنية في البلدان الاخرى — كل هذه المسائل وجوهٌ من المشكلة الاساسية، وكلها دوليٌّ في معناهُ وأثرهِ وهي مرتبطة بالمعاهدات الدولية التي بموجبها ختمت حروب وعيّنت حدود وقسمت بلدان . بل هي مرتبطة ارتباطاً واسعاً بآثار الحرب الكبرى ومخلفاتها ، بالشيوعية في روسيا ، وزيادة الريب في صلاح النظام الدستوراطي ونشوء الدكتاتوريات في ايطاليا واسبانيا وغيرهما ، ونمو الشعور القومي في شعوب الشرق ، وزوال الثقة من النفوس، لان الناس يحسّون انهم دائماً مهددون بالحرب

ثم ان اقتصارنا على مجرّد ذكر الحوادث الكبرى في الازمة العالمية ، كافٍ لبيان صفتها الدولية . انها تفتتح باقبال عام في السوق المالية بالولايات المتحدة الاميركية يتبعهُ هبوط ذريع فيمتدُّ هذا الهبوط الى البلدان الزراعية الكبيرة في شمال اميركا وجنوبها . ثم يتصل هذا الذعر بالمانيا واوربا المتوسطة اذ يستردُّ المثمرُ الاميركي مالهُ منها فينتهي الى افلاس بنك الانستالت في النمسا وبنك الدانات في المانيا . ثم تحدث ازمة ثقة في النفوس ، فتضطرُّ انكلترا وطائفة من البلدان التي تجري مجراها ان تخرج عن قاعدة الذهب في معاملاتها، بعد ما تنطرُّ اميركا الى اعلان موراتوريوم في الديون الدولية ، وتعمد انكلترا من جهة اخرى الى التخلي عن سياستها التقليدية سياسة حرية التجارة ، وحينئذٍ لا تتورّع امة من الامم عن تقييد حركة البضائع وحركة المال باي قيد تراهُ ، فكانت النتيجة هذا الشلل البادي في كل نواحي العمل، وهذا البؤس الباسط رواقهُ فوق كل البلدان

الازمة في اميركا

كان الرخاء في اميركا في خلال سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ رخاءً مزيَّفاً . فارتفاع الاسعار كان محصوراً في اثمان الاسهم والسندات والاراضي والمباني . ولكن اجور العمال لم تصب نصيباً من هذا الارتفاع ولا زاد عدد العمال ولا اتسع نطاق مطالب المستهلكين . لم يُعِر الاميركيون ادنى التفات هذه الهوة بين ارتفاع اسعار الاسهم والاعيان والمباني في جهة وبقاء حالة العمال ومطالب المستهلكين على حالها من جهة اخرى . وظلوا حتى اليوم الذي وقع فيه الانهيار العظيم في شارع المال متفائلين واثقين من دوام الاقبال واتساع نطاقه . كان كل اصحاب الصناعات تقريباً يجنون ارباحاً كبيرة ، لذلك كثر المال المعروض في السوق المالية للتشمير في هذه الصناعات . ولذلك عمد اصحاب هذه الصناعات الى هدم المباني القديمة وتشييد المباني الجديدة وتوسيع نطاقها . وعمدت الشركات الى بناء المباني الفخمة للايجار بيوتاً ومكاتب ، ولما كان الناس كلهم يتوقعون دوام الاقبال واتساعهُ ، اصبحت الاراضي التي تصلح للاستغلال تنتقل من يد الى يد انتقالاً سريعاً يبعث على الدهشة وباسعار متدرجة صعوداً ، اذا ذكرت الآن تكاد لا تصدَّقها . وعلى ذلك حلّقت اسعار الاسهم الصناعية تحليقاً لا يتسق والارباحَ التي تجنى منها . فاصحاب الاموال كانوا يشترون اموالهم مقامرين على المستقبل لثقتهم بما سوف يسفر عنهُ الغد . اما المضاربون المحترفون المضاربة ، فانتهزوا الفرصة السانحة . فرصة اقبال الجمهور على الشراء من غير تدبُّر ، فصاروا يرفعون الاسعار ويجنون الارباح . وهكذا انهال المال من جميع طبقات الاميركيين ، بل ومن غير الاميركيين كذلك ، للتشمير في الاسهم والسندات الاميركية ، رغبة في جني الارباح العظيمة . واتسع نطاق الكردبه (فتح الاعتمادات) لثقة اصحاب البنوك بالربح ولكنهم عجزوا عن صدّ اصحابها (اموال الكردبه) عن المضاربة بها

وفي ذلك الاثناء بدأ تيّار الذهب يتجه الى اميركا من جميع البلدان

ففي خلال خمس سنوات من سنة ١٩٢٤ الى ١٩٢٩ ، ارتفع متوسط سعر الاسهم الصناعية في اميركا نحو ٢٠٠ في المائة مع ان الارتفاع في سعر الاسهم الصناعية في انكلترا لم يزد اكثر من ٢٥ في المائة في خلال المدة نفسها

هذا التضخم في اسعار الاسهم لم يكن لهُ ما يؤيده من اعمال الشركات — صاحبات الاسهم — وارباحها . ولكنها كانت مضاربة ، لا بدَّ ان تسفر عاجلاً او آجلاً ، عن خسارة طائفة من طوائف الناس الذين انساقوا في دُرْدُورها . والمضارب الذي دخل المعركة لجني الربح ، كان يستطيع ، ما زال التضخم في الاسعار ، ثمّ ان يغامر ويربح ويبني اعمالهُ ويخرج بالربح الذي حققهُ . ولكن كان محتوماً ان يجيء يوم يصحو فيهِ الناس من غفلتهم فيتحققون ان اسعار الاسهم تفوق قيمتها الحقيقية . واذا جاء ذلك اليوم ، لا بدَّ ان يكون ثمة ناس يملكون الاسهم وقد

ابتاعوها باسعار غالية املاً في ارتفاع الاسعار، فاذا هي في ايديهم تتدحرج ومعها كل ما يملكون. ومع ذلك ظلت سنة ١٩٢٩ سنة ارتفاع متواصل في اسعار الاسهم، وطفى الجنون على صرت العقل فلم يصغ اليه احد. فضت البنوك تفتح لزبائنها الاعتمادات الواسعة بضمانة أسهم قدّرت اسعارها باسعار السوق الجارية — وهي اسعار مزيّفة كما بيّنا. ومضى المضاربون يضاربون بدلاً من ان يعملوا اعمالهم ويخرجوا بالارباح التي جنوها. وعلى ذلك مضت الاسعار في تحليقها رغماً عن دلائل الانهيار التي كانت ظاهرة لو كان ثمة من لهُ عينان للبصر فيبصر

ذلك ان اميركا بلاد زراعية كبيرة كما هي بلاد صناعية كبيرة. والاقبال الذي كان بادياً في الصناعات المختلفة وحركة السوق المالية لم يرَ لهُ اي اثر في حياة الفلاح. فنفقات المعيشة في اميركا لم تكن في سنة ١٩٢٩ اقلّ مما كانت في سنة ١٩٢٧ مع ان نفقات المعيشة في غير اميركا من البلدان الصناعية كانت آخذة في النزول تدريجاً. ومع ذلك فأن اسعار الحاصلات الزراعية الاميركية كانت آخذة في النزول وفقاً لاسعار السوق العالمية. فنشأت من ذلك هوّة بين ما يربحهُ الفلاح وبين ما يتحتم عليهِ انفاقهُ ليعيش، وافضى ذلك الى حركة، هي من قبيل الهجرة، الهجرة من الريف الى المدن والمراكز الصناعية. هجرة الشاب الفلاح من المزرعة التي لا تقوم باودهِ الى المراكز الصناعية حيث يظهر النشاط وتبدو دلائل الاقبال. فكثر بذلك عدد العاطلين من العمال، لان ارباب الصناعة، رغماً عن الاقبال في الاعمال الصناعية كانوا قد عمدوا الى كل الاسباب الحديثة — كالاستغناء بالآلات عن العمال، والاندماج — لتوفير النفقات، فبدت في الحياة الاقتصادية الاميركية ظاهرة من اغرب الظاهرات وهي ان زيادة العاطلين من العمال صحبت اعظم نشاط صناعي شُهد في اميركا

يضاف الى ذلك ان العمال الذين ظلّوا يعملون في المصانع لم يجنوا اي ربح من هذا الرخاء المزيّف، لان الارباح كانت من نصيب المقامرين والمضاربين الذين عندهم مال للتشمير. ويؤخذ من الاحصاءات الدقيقة ان اجور الفلاح لم تكن في سنة ١٩٢٩ اكثر مما كانت في سنة ١٩٢٦ وهذا الاختلاف افضى الى اضطراب في حياة اميركا الاقتصادية. ذلك ان استغلال مصادر الثروة الطبيعية والصناعية لا يمكن ان يزداد، الا اذا اتسع نطاق الطلب اتساعاً يتفق مع زيادة العروض. وكان الاميركيون قد اخترعوا طريقة البيع بالتقسيط، فكثر الطلب في البدء، كثرة ظاهرة اكثر منها حقيقية، فظنّ اصحاب المصانع ان الطلب على عروضهم قد زاد حقيقة وانهُ سيمضي في هذه الزيادة

ولكن ... ولكن الشعب الاميركي بوجه عام، فضّل كما ذكرنا، ان ينفق معظم مالهِ في المضاربة بدلاً من ان ينفق جانباً وافياً منهُ على جماعات المستهلكين ليمكنهم من شراء العروض التي يقدمونها لهُ. فلما مضى زمن كاف على هذا التضارب، افضى التضارب الى الانهيار

الازمة في اوربا

اما وقد بيّنا نشأة الازمة في اميركا فلنحاول ان نتتبع آثارها في اوربا

لما اخذت اسعار الاسهم الصناعية في اميركا في الارتفاع ، امسك الاميركيون اموالهم القائمة عن تثميرها في اوربا. بل اخذ تيّار المال الاوربي يتجهُ الى اميركا لتثميره فيها ، لجني الارباح العظيمة التي تجنى من ابتياع الاسهم المذكورة . ولكن الاوربيين كانوا مدينين لاميركا بمبالغ كبيرة من المال استدانوا بعضها في اثناء الحرب ، وبعضها بعد الحرب فاقضى ذلك الى رفع سعر التقطع في البنوك الاوربية ، وتضييق نطاق الكردية على التجار . اي ان النقود زادت قيمتها ، فهبطت اسعار العروض وكان من نتيجة ذلك زيادة المثقال العاطلين . ثم ان الذهب الذي كان قد ارسل من اميركا قبل ذلك لتثميره في اوربا وغيرها من البلدان بدأ يتسرب من جديد عائداً الى اميركا فاصبحت بذلك اوربا المتوسطة ومقدار الذهب في خزائنها قليل لا يكفي لتغطية اوراق النقد والاعتمادات الكثيرة . وادهى من ذلك انهُ رغم سقوط ثمن العروض في اوربا ارتفعت نفقات الانتاج لقلة المقادير التي تصنع، ولارتفاع الفائدة على المال هذا بوجهٍ عام . فلنلق الآن نظرة على المانيا

كانت المانيا بعد نكبة تنظيم ماليتها — على اثر سقوطها ذلك السقوط الذريع — ووضع برنامج يوفي لتسوية مال التعويض ، قد عنيت باقامة صناعتها على اساس آلي حديث ، وهذا اقتضى انفاق رؤوس اموال طائلة . ولما كانت المانيا قد خسرت معظم رأس المال الذي تملكهُ في دور التضخم النقديّ ، لم يكن في استطاعتها أن تنفق على بناء صناعتها بناءً جديداً وعلى تسديد اموال التعويض لمدينيها ، الا بقروض تعقدها في الخارج . وفي خلال اربع سنوات بين ١٩٢٤ و١٩٢٨ اقترضت المانيا في الخارج — ومعظم ما اقترضتهُ كان من اميركا — مبالغ كبيرة تفوق المال الذي دفعتهُ تسديداً للمطلوب منها من مال التعويض . فقد بلغ ما اقترضتهُ المانيا في خلال هذه المدة نحو ٧٥٠ مليون جنيه ذهب . وهو ضعف ما دفعتهُ من مال التعويض في خلال المدة نفسها . ويقدّر ما اقترضتهُ من اميركا بنحو ٤٠٠ مليون جنيه ذهب . ولولا هذه القروض لما استطاعت المانيا أن تسدّد ما عليها من مال التعويض ولا أن ترمم صناعاتها وتبنيها بناءً جديداً

كان هذا قبل سنة ١٩٢٩ . فلما بلغت حركة الاقبال في الاسواق المالية الاميركية اعلى ذراها في سنة ١٩٢٩ امسك الاميركيون ايديهم عن اقراض المانيا ، فواجهت المانيا الخراب الاقتصادي، الا اذا امكنها ان تجد مصدراً آخر تستدين منهُ المال . وكان معظم المال الذي اقترضهُ الالمان من الاميركيين ديوناً طويلة الآجال انفق اكثرهُ في بناء الصناعات وغيرها من المرافق العامة . فلما امسك الاميركيون ايديهم تعذّر على الالمان ان يعقدوا قروضاً طويلة الآجال ،

فاضطروا ان يعقدوا قروضاً قصيرة الآجال بواسطة البنوك الالمانية . فأقبل اصحاب البنوك في انكلترا وهولندا وسويسرا وغيرها على تقديم هذه القروض القصيرة الآجال للالمان بفائدة عالية ليمكنوهم من اجتناب الانهيار الذي كان يهددهم

على ان الالمان اضطروا كذلك الى اتخاذ ما يلزم اتخاذه من الوسائل لكي يقللوا وارداتهم تخفيفاً لديونهم التجارية — وزيادة صادراتهم ليسددوا بالفرق بين الصادرات والواردات جانباً من هذه الديون — فأفضى كل ذلك الى زيادة العاطلين في المانيا وخفض مستوى المعيشة. ولكن الضربة القاضية كانت ان حياة المانيا الاقتصادية في تلك الفترة كانت متوقفة على اموال اقترضت لآجال قصيرة ، وهي عرضة لعدم التجديد ، مع انهم كانوا يستعملونها في اغراض لا تؤتي ربحاً الا بعد زمن طويل

فلما انقضت فترة الرخاء في اميركا وانهارت الاسعار ، اصبحت الحال في المانيا على شفا الجرف . فأحجم الاميركيون عن ادانة المال في الخارج لشدة الصدمة التي اصيبوا بها ولعدم تفهم في تطور الحالة في الغد . زد على ذلك ، ان طائفة من البنوك الاميركية نفسها كانت في موقف حرج جداً ، لانها كانت قد ادانت عملاءها اموالاً بضمانة اسهم ذات اسعار متضخمة. وهذه البنوك كانت ميّالة الى استرجاع ما لها من الاموال في الخارج في اول فرصة ممكنة

هذا الموقف الذي وقفتهُ اميركا بعد الانهيار المالي ، أثّر في المانيا مباشرة لانها اصبحت لا تستطيع ان تعقد قروضاً في اميركا بل لا تستطيع ان تحتفظ بكل ما كانت استدانتهُ منها من قبل . وأثر كذلك في المانيا اثراً غير مباشر . ذلك ان الاميركيين لما شرعوا يستردون اموالهم شرعوا يستردونها من كل البلدان على السواء ، فأصبحت هذه البلدان لا تستطيع ان تعقد لألمانيا قروضاً ما ، لتتخطى بها الازمة

كذلك نرى ان الحالة الاقتصادية في المانيا ، كانت تزداد حرجاً في سنتي ١٩٣٠ و ١٩٣١ رغم ما اتخذته الحكومة من الوسائل الشديدة لانقاص الواردات وزيادة الصادرات على حساب خفض مستوى المعيشة . ولكي يزيد الصانع الالماني صادراته خفض اسعاره تخفيضاً كبيراً — فأغضب هذا الدول المزاحمة لالمانيا — ثم حاول ان يسترد ما يخسره في هذا التخفيض، بزيادة اسعاره في كل ما يبيعهُ في المانيا نفسها ، فارتفعت بذلك نفقات المعيشة في المانيا وهبط مستواها . وكان الالمان قد اعتادوا بناء صناعاتهم لاعتقادهم بأن السوق العالمية آخذة في الاتساع ، والربح لا يجنى في الصناعات الجديدة التي تقتضي نفقات طائلة ، الا اذا كان مقدار ما تصنعه من البضائع كبيراً ، فلما وقعت الواقعة في السوق المالية الاميركية ، انكمشت السوق العالمية ، وأصبحت الصناعات الالمانية المنظمة ابدع تنظيم ، لا تدرُّ من الربح الا اليسير ، اذا درّت ربحاً على الاطلاق

فلما زادت البطالة في المانيا زيادة كبيرة في بدء سنة ١٩٣١ للاسباب التي تقدم ذكرها ، زادت نفقات الحكومة الالمانية على المال المعاطلين قياماً بأودهم الضروري ، ففقدت الميزانية توازنها ، وبدأت الاموال تتسرب من المانيا ، فهددت بالافلاس . ولولا موراتوريوم هوفر ، الذي اتفق بموجبه على وقف دفع التعويضات وديون الحرب سنة كاملة ، ولولا الاتفاق الذي تلاه ، وبموجبه اتفق اصحاب البنوك على اموال المانيا ستة اشهر تتجدد ، في دفع ديونها التجارية القصيرة الآجال لافلست المانيا وانهار نظامها الاقتصادي

ولكن موراتوريوم هوفر ، والاتفاق الخاص بالديون التجارية كانا وسيلتين مؤقتتين لعلاج الحالة ، مع ان الاسباب التي افضت الى هذه الحالة الحرجة كانت تمتدُّ الى اصول عميقة في النظام الاقتصادي الذي تلا الحرب العامة ، ولا يمكن ان تزال بعلاج مؤقت على الاطلاق . اضف الى ذلك ان القلق ظلّ يخامر النفوس ، لأن احداً لم يكن يدري ما تستقرُّ عليه الحال بعد انقضاء أمدِ هذين الاتفاقين . ثم ان موراتوريوم هوفر ضاع جانب من أثره بالعراقيل التي وضعت في طريقه . وعلى ذلك ظلّت الحالة في المانيا حرجة كل الحرج ، فاتخذت الحكومة اشدّ ما يمكن اتخاذهُ من الوسائل للاحتفاظ بموازنة الميزانية ، فأقلق كل هذا نفوس الشعوب الالمانية ، ونشأ عن هذا القلق امتداد نفوذ الحركتين الشيوعية والهتلرية في المانيا

الازمة في بريطانيا

في خلال المدة التي وقفت فيها المانيا على شفا الافلاس ولم تنج منهُ الا باعلان موراتوريوم هوفر والاتفاق الخاص بالديون القصيرة الآجال ، امتدت الازمة الى انكلترا واخذتها بالخناق

وكان النظام الاقتصادي الانكليزي معرضاً للخطر ، لان لندن كانت ذات مقام ممتاز في عالم المعاملات المالية . كانت بنوك انكلترا قد ادانت الاموال في كل انحاء الارض ، وكانت المانيا في مقدمة البلدان التي استدانت من انكلترا ، رغم ما بدا في افق الحياة الاقتصادية الالمانية من نذر الانهيار . ولكن الماليين البريطانيين لم يسلّفوا هذه المبالغ الطائلة من مالهم الخاص ، لان تقلّص التجارة البريطانية ونقص الارباح التي يجنيها المتمولون البريطانيون من اموالهم المثمرة في اربعة اقطار المعمورة ، تركاهم من دون اموال كافية يديّنونها لالمانيا وغيرها . لذلك عمد بنك انكلترا الى جذب الاموال الى انكلترا ، برفع سعر القطع ، فكان معظم المال الذي ورد على لندن بهذه الطريق ودائع قصيرة الآجال ، ومن هذه الودائع اخذت بنوك انكلترا تسلف المانيا . ولكن هذه الودائع القصيرة الآجال . كانت عرضة للاسترداد ، بعد انذار قصير الاجل وهنا موطن الخطر

ذلك انهُ لما اخذت الازمة العالمية تستفحل ، تردّدت اصداء استفحالها في سوق لندن المالية . ففي الناحية الواحدة كان متعذراً على البريطانيين ان يستردُّوا ديونهم القصيرة الآجال

من المانيا ، كما أنهُ كان يصعب عليهم أن يستردُّوا ديونهم القصيرة الآجال من استراليا وجمهوريات اميركا الجنوبية ، لضيق نطاق التجارة وهبوط أسعار العروض . وفي الناحية الأخرى هرع الذين كانوا قد أودعوا أموالهم في لندن ودائع قصيرة الآجال الى استردادها وفقاً لحاجتهم اليها . كذلك سحب الاميركيون جانباً كبيراً من ودائعهم في لندن ، على أثر الانهيار المالي في بلادهم ، واقتفى أثرهم الفرنسيون ، فانهم شرعوا يستردُّون أموالاً كانوا قد أودعوها في لندن قبل تثبيت سعر الفرنك

صُدم الانكليز بهذا السحب المتوالي ، لانهم لم يستطيعوا أن يقابلوهُ بسحب أموالهم في البلدان الأخرى ، لسد الثغرة في مقام لندن المالي . وما لبثت الحال أن خلقت في أذهان المفكرين في كل انحاء العالم شكوكاً في سلامة النظام المالي البريطاني ، وريباً في امكان بريطانيا البقاء على قاعدة الذهب التي عادت اليها سنة ١٩٢٥

اما هذه الحالة الباعثة على القلق عيَّن البرلمان لجنة ماي فاخرجت تقريرها وعزت فيهِ العجز في الميزانية البريطانية ، الى هبوط دخل الحكومة لهبوط دخل الشعب البريطاني ، والى زيادة الانفاق على العمال العاطلين ، وكلاهما من آثار الازمة العالمية . والظاهر أن الغرض من هذا التقرير كان حمل حكومة العمال الثانية — وكانت في دست الحكم حينئذٍ — على اتخاذ التدبيرات اللازمة للاقتصاد . فرأى فيهِ المراقبون لبريطانيا من الخارج ما يبعث على القلق ، فنجم عن ذلك التمادي في سحب المال من لندن

فلما واجه بنك انكلترا ، هذه الحالة المفاجئة ، أدرك مديروهُ أنهُ اذا مضى أصحاب الودائع في سحب ودائعهم من انكلترا ، لم يكفِ كل ما في خزائنهِ من الذهب لذلك ، فعمد الى عقد قروض في بنك فرنسا وبنك الفدرال رزرف في نيويورك . فاستدان في يوليو سنة ١٩٣١ خمسين مليوناً من الجنيهات — تدفع ذهباً — ولكن لم يلبث أن أنفق هذا المبلغ العظيم في بضعة أسابيع . هنا أنبأ القائمون على ادارة بنك انكلترا حكومة العمال بموقف البنك الحرج وقالوا لها أمامنا طريقان ، اما الخروج عن قاعدة الذهب أو المضيّ في الاستدانة ، لتسديد ما يطلب سحبهُ من المال من لندن . وان الاستدانة لا تتمُّ الا اذا ضمنت الحكومة البريطانية المبالغ التي يستدينها البنك

ونحن نرى الآن أن الحال كانت تقتضي — من وجهة النظر البريطانية — أن تخرج انكلترا عن قاعدة الذهب لما بدأ أصحاب الودائع يسحبون ودائعهم لتصدّ سحب الأموال من لندن ، بما يتعرَّض لهُ الساحبون من الخسارة ، وهي الفرق بين الذهب وبين ما ينخفض اليهِ سعر الجنيه الاسترليني . ولكن وزير المالية في حكومة العمال ، المستر سنودن — وهو الآن الفيكونت سنودن — كان من المتمسكين بقاعدة الذهب ، تمسكاً يكاد يكون أعمى . وما

له من النفوذ ، قرّرت حكومة العمال ، بعد ما اطلعت على حالة بنك انكلترا ، أن تمضي في استدانة الاموال في باريس ولندن . وكانت محاولة يائس

ولكن أصحاب البنوك في فرنسا ونيويورك صرّحوا للحكومة البريطانية ، أنهُ رغماً عن ضمانها للاموال التي تستدان ، لا يسلّمون بتقديم المبالغ المطلوبة الا اذا اتخذت الحكومة ما يلزم لموازنة الميزانية ، وعينوا في شرطهم نقص المال الذي تنفقهُ الحكومة على العاطلين من العمال. وقد أنكر بعضهم بعد ذلك أن هذا الشرط كان من الشروط التي ذكرت . ولكن الواضح على ما يقولهُ المستر كرل في كتابهِ[1] ....ان الشرط صحيح ؛ لأن المستر مكدونلد أقرّ بذلك في الاجابة عن سؤال طرح عليهِ في مجلس النواب البريطاني

ومحاولة وضع هذا الشرط على الحكومة ، كان سبباً لانقسام حكومة العمال ، لأن معظم أعضائها رفضوا أن يعمد الى توفير المال من هذه الناحية ، لموازنة الميزانية ، مع أنهم كانوا مستعدين لمحاولة موازنتها بطرق أخرى. والغريب ، أن حكومة العمال لم تنظر قط ، في المسلك الآخر الذي كان يمكنها أن تسلكهُ وهو الخروج عن قاعدة الذهب ولعلّ ذلك عائد الى مكانة المستر سنودن وآرائهِ من نفوس زملائهِ

فلما وجد المستر مكدونلد أنهُ على خلاف مع معظم زملائهِ في الوزارة ، قرّر أن يتخلص منهم فقدّم استقالة الحكومة الى الملك جورج ، فطلب اليهِ الملك أن يؤلف وزارة ائتلافية أو وزارة قومية فاشترك فيها المحافظون وبعض الاحرار ومشايعو المستر مكدونلد من العمال

أما الوزارة القومية فلم تعمد في الحال الى الخروج عن قاعدة الذهب ، بل بدأت تفاوض البنوك في باريس ونيويورك لاقتراض مبلغ ٨٠ مليوناً من الجنيهات ، تدفع ذهباً عند الاستحقاق

ولكن تتابع الحوادث كان قد ألقى الذعر في النفوس ، فزاد المسحوب من الودائع المالية في لندن ، وسبب ذلك أن بعض الانكليز نفسهم بدأوا يخرجون من بلادهم جانباً من أموالهم الخاصة . ولذلك ما كادت الحكومة القومية ، تتسلم زمام الأمور ، حتى وجدت نفسها مرغمة على الخروج عن قاعدة الذهب وهي خطوة كان يجب أن تتخذ — من وجهة النظر الانكليزية — قبل ذلك ببضعة شهور

وكان لخروج بريطانيا عن قاعدة الذهب ، أثر كبير في جميع بلدان العالم . ذلك أن بلداناً كثيرة تبعتها وخرجت عن قاعدة الذهب فلم يبق في العالم في آخر سنة ١٩٣١ الا الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا وهولانده وسويسرا جارية عليها . وكان من أثر خروج هذه البلدان عن قاعدة الذهب ، أن رخصت أسعار صادراتها في البلدان التي ما زالت محتفظة بها . فكتابٌ يطبع في انكلترا وثمنهُ أربع شلنات كان يباع في أميركا

(١) An Intelligent Man's Guide to World Chaos وقد كان جل معتمدنا عليه في اعدادنا الفصل

قبل خروج انكلترا عن قاعدة الذهب بما يقابل الاربع شلنات وهو ريال . أما بعد خروجها فصار ثمن الكتاب في اميركا بالريالات أقل مما كان . أضف الى ذلك أن البلدان التي خرجت عن قاعدة الذهب أصبحت تفضل أن تشتري من البلدان المماثلة لها ، لان الشراء من البلدان المحتفظة بقاعدة الذهب ، أغلى بنسبة سقوط الجنيه الاسترليني عن الجنيه الذهب . فكتاب ثمنهُ في انكلترا ٤ شلنات يدفع ثمنهُ هنا ٣٠ قرشاً صاغاً مثلاً . ولكن كتاباً ثمنهُ في اميركا ريال ، وهو معادل اسمياً لاربعة شلنات ، لا نستطيع أن نبتاعهُ الآن باقل من ثلاثين قرشاً

وكانت نتيجة ذلك أن زادت الازمة استحكاماً في اميركا ، لتعذر مزاحمتها للبلدان الخارجة عن قاعدة الذهب في ميدان تجارة الصادرات

وكانت انكلترا تؤمل أن تفوز بمركز ممتاز في تجارة الصادرات بعد خروجها عن قاعدة الذهب وفعلاً انتعشت هذه التجارة بعض الانتعاش ولكن لما كثر خروج البلدان التجارية مثلها عنه لم يبلغ الانتعاش المبلغ الذي كان منتظراً لهُ

وكان من اثر خروج انكلترا عن قاعدة الذهب ، ان الحالة في المانيا ازدادت حرجاً . ذلك ان المانيا كانت مقيدة بدفع مال التعويض ومال الديون التجارية ، ذهباً ، فلذلك كان لا بدَّ لها من بقائها على قاعدة الذهب . ولكن هذا البقاء قيَّد تجارة صادراتها بقيود ثقيلة . ومع ذلك فليس لالمانيا طريقة لتسديد ديونها الاَّ بالفرق بين صادراتها وواردتها . ولكنها لم تستطع ان تفعل ذلك ، الاَّ برمي بضائعها في اسواق العالم الضعيفة بأسعار رخيصة ، ولتعويض هذا الرخص ارتفعت الاسعار في السوق الالمانية ، فزادت نفقات المعيشة زيادة فاحشة ، واشتد الناس جهدهم ، فقلَّ ما تنتجهُ المصانع ، ونتج عن ذلك زيادة العمال العاطلين

وما حدث في المانيا ، حدث في اوستراليا والارجنتين والبرازيل وبلاد شيلي ، مع ان هذه البلدان لم يكن عليها اموال تعويض تدفعها . ولكنها كانت مدينة بمبالغ كبيرة من المال فوائد على ديون وأرباحاً على اسهم . ولما كانت هذه البلدان تعتمد على اصدار المواد الخام والمواد الغذائية ، ولما كانت اسعار هذه المواد قد هبطت هبوطاً اكثر من هبوط اسعار البضائع المصنوعة ، وجدت هذه البلدان ان ديونها قد زادت زيادة فاحشة لما حاولت ان تسددها بالحاصلات التي تصدرها . ولكي تسدد ديونها ، عمدت الى تحديد وارداتها باقامة الحواجز الجركية ، وبعضها عمد الى منع استيراد اصناف معيَّنة من البضائع ، او منع خروج المال من بلادها كما فعلت البرازيل . وهكذا اقيمت في وجه التجارة بين البلدان المختلفة حواجز منيعة ، زادت الازمة تفاقماً واستحكاماً

يضاف الى كل هذه الويلات ويل سقوط ثمن الفضة ، فنزلت مقدرة الصين الشرائية الى النصف . ثم ان الحرب الاهلية في الصين والمقاطعة في الصين والهند لبضائع البلدان الصناعية

كانت عاملاً آخر في انقاص مقدرة العالم على الشراء ، ومن اكبر البلدان التي اصيبت بهذا العامل الاخير بريطانيا واليابان

ديون الحرب ومال التعويض

كان المتوقّع ان نجد في خلال هذه المدّة التي امتدّت فيها الازمة فوق كل بلدان العالم وبسطت فوقهُ رواق العطل عن العمل والفقر والجوع، ان نجد سعياً جديًّا حكيماً لحلّ مشكلتي الديون والتعويضات حلاً معقولاً . فمن البلدان الخمسة التي لها في هاتين المشكلتين اكبر نصيب — اي انكلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة — رأينا ان المانيا اشرفت على الافلاس ولم تنج منهُ الاّ بعلاج مؤقت ، وباتخاذ اشد الوسائل للاحتفاظ بموازنة ميزانيتها ، وانها دائماً تحت رحمة دائنيها ، فلم يكن في وسعها ان تخطو خطوة ما نحو الحلّ المنشود . والواقع انهُ لم يكن في وسع المانيا الاّ انكار كل ديونها والتزاماتها الخارجية ، ولكن هذا العمل من شأنهِ ان يفضي الى ازمة عالمية فينهار النظام الاقتصادي الالماني وقد يصحبهُ في الراجح ثورة في المانيا

اما بريطانيا ، التي صرّحت انها موافقة على الغاء الديون والتعويضات بجرّة قلم واحدة ، فلم تستطع ان تجازف بذلك من جديد ، فراراً من غضب فرنسا واجتناباً لازمة مالية جديدة

اما فرنسا فظلّت في مطلع الازمة غير متأثرة بها ، والواقع انها لم تشعر بفعلها الاّ في بدء سنة ١٩٣٢ ، ولذلك رأيناها معرضة عن اجابة مطالب الالمان ، بل انها لم تقبل تخفيض التعويضات ، الاّ اذا رضيت الولايات المتحدة الاميركية ان تتنازل عمّا لها من ديون الحرب

على ان الازمة في اميركا كانت لا تزال آخذة بخناق الامة ، فكان الرأي العام الاميركي غير راضٍ عن اية محاولة الغرض منها الغاء ديون الحكومات الاوربية او نقصها . ومع ان الحكومة الفدرالية في وشنطن كانت واقفة على حرج الموقف العالمي لم تجرؤ على القيام باي عمل من هذه الناحية خوفاً من الفشل الذريع في انتخابات الرآسة التي تمّت في ٨ نوفمبر الماضي

فلما اعلن موراتوريوم هوفر وعقد الاتفاق الخاص بديون المانيا التجارية القصيرة الآجال تنفّس الناس الصعداء قليلاً لاجتناب الانهيار الاقتصادي الذي بدت بذورهُ في الافق . ولكن الحكومات القائمة لم تغتنم هذه الفرصة للسعي الى حلّ مشكلة التعويضات الالمانية حلاً موفقاً مع انهُ كان يتعذر ان نجد حينئذٍ من يعتقد انهُ في امكان المانيا ان تستأنف دفع مال التعويض بعد انقضاء موراتوريوم هوفر في سنة ١٩٣٢ ، وانهُ اذا لم تستأنف المانيا دفع مال التعويض فالراجح ان تعجز دول الحلفاء عن تسديد اقساط دينها المستحقة للولايات المتحدة الاميركية

ومع رسوخ هذا الاقتناع العام ، ظلت المسألة معلقة ، يؤجل النظر فيها شهراً بعد شهر ، حتى طلبت المانيا في آخر سنة ١٩٣١ ، بموجب مشروع يونغ ، الى الحلفاء ان يعيدوا النظر في

قدرتها على الدفع فعينت لجنة من خبراء الحلفاء للبحث في الموضوع ، فأيدت اللجنة دعوى المانيا بانها عاجزة عن الدفع الا بعد اعادة النظر في المشكلة بجذافيرها . وعلى اثر هذا التقرير جدد الاتفاق الخاص بالديون التجارية القصيرة الآجال ، وهو اتفاق بين البنوك . ولكن حكومات الحلفاء عجزت عن الوصول الى اتفاق في الموضوع . وعلى ذلك تأجل مؤتمر لوزان الذي ، دعي لمعالجة المسألة

* * *

وكان موقف انكلترا اولاً الدعوة الى الغاء عام يتناول التعويضات والديون . ولكن الفرنسيين — ونصيبهم من التعويضات اكبر من الاقساط التي عليهم ان يسددوها لانكلترا واميركا — لم يسلموا بطلب الانكليز . واشتد الضغط الداخلي على الحكومة الالمانية فاعلن فون بابن باسمها انها لن تستطيع ان تستأنف دفع التعويضات في سنة ١٩٣٢ ولا في اي وقت بعدها

وكان الاميركيون من عهد الرئيس ولسن ، يثبتون ويؤكدون ان لا علاقة بين مال التعويض وديون الحرب . ولكن موراتوريوم هوفر جعل هذه العلاقة موجودة وجوداً عملياً وان انكرها الاميركيون من الناحية النظرية . ثم ان الرئيس هوفر اشار في حديثه مع رئيس وزراء فرنسا — المسيو لافال — الى انهُ اذا اتفقت دول اوربا على حل مشكلة التعويضات ، فعندئذٍ يتخذ الكنغرس الاميركي ما يجب للاشتراك في حل مشكلة التعويضات والديون في سبيل عودة الرخاء الاقتصادي . تفهم ذلك في اوربا على انهُ اذا حلت مشكلة التعويضات كانت اميركا مستعدة لتقص المطلوب لها من ديون الحرب ، وعلى ذلك اجتمع مؤتمر لوزان في اوائل الصيف الماضي (يونيو) ووصل بعد اخذ ورد طويلين الى الغاء التعويضات وجعل المطلوب من المانيا مبلغاً معيناً قدره ٣٠٠ مليون جنيه ولكنهُ جعل ابرام هذا الاتفاق متعلقاً بنتيجة المفاوضات مع اميركا في مسألة ديون الحرب . فالمسألة في آخر ١٩٣٢ كانت كما يلي :

ليس ثمة اي امل في ان تستأنف المانيا دفع مال التعويض اذا لم يبرم اتفاق لوزان

وليس ثمة امل ، في ان تلغي اميركا المطلوب لها من الديون بجرة قلم واحدة[1]

وليس ثمة امل في ان تلغي الدول الاوربية التعويضات في حين ان ديونها لاميركا لا تزال هي هي . وقد رأينا كيف امتنعت فرنسا في دسمبر الماضي وسقطت وزارة هريو

ولعل المؤتمر الاقتصادي العالمي المنتظر عقده قريباً يعالج هذه المسائل الخطيرة

---

(١) بعد كتابة هذه المقالة وردت الانباء من اميركا تفيد ان المستر روزفلت الرئيس المنتخب طلب الى المستر ستمسون وزير خارجية الرئيس هوفر ان يدعو حكومة بريطانيا الى ايفاد مندوبين للمباحثة معه في مسألة الدين البريطاني الاميركي بعد تقلده زمام الرئاسة في ٤ مارس سنة ١٩٣٣

من خلال نظارته تضارب العواطف الشخصية في المجتمع . ولكنهُ لا يرى تصادم الانظمة المجرّدة . فانت اذ تقرأ كتبهُ تحسُّ انهُ قد يميل الى تحليل نفسية كارل ماركس ، ولكنك لا تستطيع ان تقنعهُ بدرس المذهب الماركسي

كان زهرة من ازهار المذهب الحرّ الذي تدين بهِ الطبقة المتوسطة الانكليزية . كان مستعدًّا لبذل مايستطيع بذلهُ لاصلاح نظام السجون . متحفّزاً للاحتجاج على الالعاب الرياضية الدموية وما يتخللها من قسوة ووحشية . ولم يرضَ في حياتهِ ان يرمي الخاطئ بحجر لانهُ كان يفهم مأساة الخطيئة ووقعها الاليم في النفس . وقد كان في مؤلفاتهِ قادراً على حمل قرائهِ على الشعور بما يشعر بهِ في هذه الاحوال ، ولكنهُ كان عاجزاً عن حملهم على التفكير في علل تصرفهم وآثارهِ ، لانهُ كان لا ينظر الى الناس هذه النظرة ، فقد كانت حياته سلسلة من الفجات ، دون اكثرها بما عرف عنهُ من حسّ فنيّ مرهف

وفي كتابتهِ شعرٌ اكثرهُ الى الغنائي دون القصصي . وكان يفضل ان يرسم حالة نفسية طارئة على ان يعلن مبدءًا فلسفيًّا او عقيدة راسخة . وهذا اجل ما يكون في رواياتهِ التمثيلية . فمعظم هذه الروايات يدور على موقف خاص ينطوي على اصطدام بين شخص وتقليد اجتماعي معيّن . فانت ترى في رواية غالزوردي قسوة هذا الاصطدام وآثارهُ الأليمة وتحسّ ان هذا الاصطدام يجب الاّ يكون . ولكنك قلّما تجد لذلك علاجاً ، في كتابة المؤلف او في خلال سطورهِ

والقضية في رأيهِ هي احترام شعور الغير . وكأنهُ يقول هاتوا لنا من هذه الفضائل فبها يخلص العالم . لاريب اننا في حاجة الى هذه الفضائل . ولاشك في اننا لا نبالغ مهما نادى في ترديد هذه الدعوة . ولكننا نشك في اننا نستطيع ان نعيد بناء الاجتماع البناء الامثل بتربية آداب السلوك التي يمتاز بها الاوستقراطيّون الانكليز . ولعلّ المستر غالزوردي كان اشدّ الكتاب المعاصرين نفوراً من آلام الحرب ومقتاً لويلاتها . ولكنهُ في الراجح لم يدرِ بصيرتهِ ما تنطوي عليهِ من جنون مطبق . وكان شديد الثورة على مساوىء الحياة في النظام الاقتصادي القائم على الرأسمالية . ولكن ذلك لم يحملهُ قط على البحث في وجوب الابقاء على هذا النظام او محقهِ . فقد كان دقيق الحس بنتائج الانظمة والاعمال ولكن كانت تعوزهُ مقدرة البحث في اسبابها

فضل الخلق ودقة الشعور ورقة الطبع كانت صفاتهُ البارزة في حياتهِ وكتاباتهِ . فقد كان كريماً في حق كل انسان . وثمة كثير من الجمعيات التي ترمي الى تحقيق اغراض اجتماعية وانسانية شريفة — كحفظ الريف من تدنيس الصناعة وانماء الشعور الدولي بين رجال القلم من بلدان مختلفة واصلاح نظام السجون وحظر التأديب بالفلق — كل هذه الجمعيات الانسانية

اشترك فيها غالزوردي وايّدها بمقامه وماله ونفوذه وهو قد فعل ذلك لان كل هذه المعاني لها مكانة خاصة في نفسه . على انهُ قلّما وفق اذ حاول ان يعالج الحركات الاجتماعية القائمة على اساس عقلي . ففي روايته التمثيلية التي عنوانها « كوميديا حديثة » يرسم صورة للاضراب العام الذي وقع في انكلترا سنة ١٩٢٦ انما لا يرى في هذا الاضراب الا انفعال اشخاص الرواية به وكيف هبّوا الى العمل مكان المضربين. فالاضراب العام في نظرهم حدث اجتماعي يهدّد سلامتهم الاقتصادية وكأن المستر غالزوردي نفسهُ لا ينظر الى الاضراب العام نظرة اوسع من نظرة اشخاصه . بيد انهُ اذا كانت العلاقة التي يراد رسمها علاقة شخصية فدقة شعوره بها لن تخيب

وقد كان غالزوردي في حياته اليومية ما تنبيهُ منهُ في كتبهِ . كان يلاقي الحياة بسكينة ومشكلاتها بفهم وعطف . كان رجلاً كريماً يهمهُ ان يفعل ما يراه حقاً وصلاحاً وان يجتنب ما يؤلم الغير . شديد الاحترام لشعور الناس ، يبدو عليه شيءٌ من التواضع . وكانت الحياة لا تستثيرهُ كما تستثير المستر ولز . ولا كان مندفعاً بشهوة عنيفة الى تعرف اصولها واركانها كالمستر برنارد شو . لم ينزل الى ميدان الطبقات الفقيرة فلم ينفذ الى دخيلة نفوسها بل كان ينظر الى العالم من مرتفع منزوٍ عن الناس ، فلا يندفع للاختلاط بتيارها كالمستر ولز « ولا يقيم خيّامهُ على قارعة الطريق كالمستر شو »

ولد في كومب سنة ١٨٦٧ وتلقى علومه في جامعة اكسفورد ثم درس الحقوق وانتظم في سلك المحاماة ولكنهُ مال الى الكتابة والتأليف فظهرت روايتهُ الاولى « جوسلين » سنة ١٨٩٨ فلما اصدر روايتهُ الثانية « مالك العقار » سنة ١٩٠٦ استرعى انتباه النقاد. وكانت هذه الرواية الاولى من سلسلة تعرف بـ « فورسيت ساغا » وصف فيها حالة الطبقة الوسطى ولاسيما العالية منها في عهد الملكة فكتوريا والملك ادورد ومطلع عهد الملك جورج الخامس . فما دكّت الحرب العظمى معالم المجتمع القديم وقف غالزوردي حائراً ؛ ثم انشأ ثلاث روايات حاول ان يصف فيها المجتمع الانكليزي الذي تلا الحرب الكبرى على ما فعل في « فورسيت ساغا » في المجتمع السابق لها . فصدره « الفرد الابيض » وه « المنعطف الفني » وه « نشيد الاوزة » ولكنك تتبين في خلالها ان غالزوردي كان مأخوذاً بتغير المشاهد ، فلم يعدُ فيها وصف التحوّل وصفاً خالياً من تأمله الصادق في اصول الحياة البشرية . وله قصص قصيرة[1] ورسائل في موضوعات انسانية عامة وروايات تمثيلية نحا فيها نحواً جديداً في جعل الحوار بين اشخاص الرواية طبيعيًّا خالياً من كل المحسنات البلاغية . فتحتاج هذه الروايات الى ان يمثلها ممثلون مجيدون لكي تبدو حسناتها فاذا اكتفى القارىء بقراءتها وجدها خالية من الرواء والبلاغة التي يعثر عليها في كل صفحة من برنارد شو

(١) سوف تنشر ترجمة احداها في العدد التالي وتطلب كل مؤلفاته من المكتبة المصرية الانكليزية بشارع قصر النيل بمصر

ملتوية . فقد تنطوي عقيدة الخلقة على شيء كثير من الحقيقة ولو ان الصورة التي رسمها ملتون قد لا يأخذها العالم الطبيعي بنظر الاعتبار ولكن ما زالت فكرة الخلقة تعبر عن عقيدة دينية كهذه فليس للعلم ان يقول كلمته فيها لان العلم لا شأن له بالتفسيرات الدينية وانما هو يبحث فقط في الاوصاف التي تقع تحت الحس والمشاهدة

ولكن اذا استمر الذين يعتقدون ان في كلام انجيل يوحنا (في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله . . . الخ) حقيقة بانة لا تقبل النقض والتبديل ، اجل اذا قالوا « ان الكائنات الحية انبثقت من الارض على الشكل الذي تراه الآن» اجاب العالم الطبيعي مؤكدا « ان هذا لا ينطبق في شيء على الحقائق التي اوضحتها لنا سجلات الصخور (المتحجرات) » او اذا قال المتدين «انا مقتنع بان الكائنات الحية نشأت بطريقة خاصة لا تقبل التحليل العلمي » اجباه : «لقد اسرعت في الحكم يا هذا ، فان السبيل الذي سلكته الكائنات العضوية آخذ في الوضوح شيئاً فشيئاً ويوماً بعد يوم . وليس للانسان ان يتحلل من واجبه في البحث العلمي»

﴿ تتابع الخلقة ﴾ في مبدأ نشوب الجدال بين فكرتي التطور والخلقة قامت فئة لم تستطع تفهم دقائق النظرية الداروينية ، واعلنت فكرة جديدة دعيت نظرية « تتابع الخلقات» (Successive Creations) القائلة بان كل عصر جيولوجي كان مسرحاً لخلقة خاصة فيظن ان البرمائيات الاولى خلقت في العصر الرملي الاحمر القديم (Old Red Sandstone Period) والزحافات الاولى في العصر البرمي (Permian) والطيور الاولى في العصر اليوراسي (Jurassic) وهكذا . على انه اذا لم يكن في الجائز ان نسلم بنشوء الاصل بطريقة الخلقة التي لا تأتلف والمقتضيات العلمية فكيف يجوز لنا قبول فكرة توزع خلقة الكائنات الحية خلال العصور المتتابعة ؟ وفضلاً عن ذلك ان تدرج الانواع في الرقي هو اكثر انطباقاً على الحقائق العلمية ، بينما الخلقة «هي فكرة دينية لا تلتئم والاساليب العلمية . اما مزج الفكرتين فشوش للعقل . وعند ما يدعي المؤمن بالخلقة ان قوة الآلهة الحي تتجلى وراء جميع الاشياء يكون بعيداً عن نطاق العلم وخارجاً عن اسلوبه النقدي ، ولكنه عند ما يتقدم الى البحث المادي وينكر اريجيز فكرة معينة يكون كالمتطفل المتعدي حدود اختصاصه

﴿ عالما « الفرد رسل ولس ﴾ كان العالم الطبيعي « الفرد رسل ولس Alfred Russell Wallace (١٨٢٢ — ١٩١٣) » اكبر شخصية ظهرت بين اصحاب التطور ، فقد شارك داروين في فضل ابداء فكرة الانتخاب الطبيعي واشتهر بالسياحات الواسعة النطاق التي قام بها تحقيقاً لبعض الآراء العلمية عن الحياة الحيوانية ، وكان من المتوفرين على درس التوزع الجغرافي ، ومن المشتغلين بالمشكلات البيولوجية العامة ، اضف الى ذلك فكره الوقاد ونبوغه الذي جعله في مصاف المصلحين الاجتماعيين والعلماء الطبيعيين . وكان ولس ، على شيء كثير من

دماثة الاخلاق وسمو المكارم ، فانهُ لم يكتف بالاعتراف بسبق دارون لهُ في نشر فكرة الانتخاب الطبيعي التي اشتركا في درسها فحسب ، بل الّف كتاباً في هذا الموضوع سماهُ « الداروينية » او المذهب الداروني Darwinism

﴿ الفكرة الروحية في التطور ﴾ لقد كان « الفرد ولس » تطوريًّا بالمعنى الصحيح ، وكانت جميع مباحثهِ في ارتقاء الانسان والكائنات الحية الاخرى مطبوعة بطابع التطور . وهو الذي وقف بجانب دارون في معركة التطور ومهَّد لنا معرفة العوامل في نشوء المخلوقات الحية. ولكنهُ عند ما فكَّر في نشوء الكائنات العضوية من الكائنات اللاعضوية ، وفي نشوء الكائنات ذات الشعور والوجدان وابرز الصفات الانسانية الاخرى ، استنتج ان خطوات الارتقاء هذه مدينة الى تأثير عالم غير منظور هو « عالم الروح الذي لا يدانيه عالم المادة في شيء »

سلَّم « ولس » بجميع العوامل التطبيقية في نشوء الانواع بعضها من بعض ولكنهُ قال بوجود قوة خفية تعمل وراءها ولا سيما في نشوء الانسان والكائنات الشاعرة الاخرى اذ قال في كتابه « عالم الحياة » الذي نشره عام ١٩١٠ « ان التعقيد الكائن في الاجسام الحية يستلزم وجود قوة خالقة وعقل مدبر وغاية خلقت لاجلها الاحياء »

﴿ هل كان « ولس » مصيباً ﴾ ان فكرة ولس تظهر معقولة جدًّا عند كثيرين فكل ما ذهب اليه هو : ان نظرية التطور لا تكون تامة ما لم تدلنا على العوامل التي تعاونت على احداث عملية النشوء العظيمة . على ان العالم التطوري لا يستطيع ان يوضح العوامل التي ادت الى نشوء العضويات الحية والكائنات الشاعرة ، فان تلك كانت خطوات واسعة فهل نستطيع تعليلها ؟ يجيب العالم التطوري بصراحة ان العلم لا يستطيع في الوقت الحاضر ان يلقي ضوءاً كافياً على هذه الخطوات الكبيرة ؛ لذلك كان امام « ولس » ان يفترض وجود قوة روحية كان لها اثر في إحداث عملية التطور الطبيعية . وهكذا أدخل « ولس » عاملاً جديداً يساعد المادة والحياة على مقاومة ما يعترضهما من الصعاب »

﴿ لماذا لا نستطيع قبول الفكرة الروحية ﴾ ان قبول نظرية « ولس » على علاتها يفضي بنا الى مشاكل ومصاعب خطيرة وذلك (١) لانها تسرعت في الحكم بقصور العلم عن تفسير خطوات التطور الكبيرة كظهور العضويات والاحياء الشاعرة والكائنات البشرية و (٢) لان نظرية ولس تقتضي حتماً القول بان الخليقة الاصلية لم تكن تامة : وكان من الضروري لها ان تستعين بقوة خفية خاصة لتكوين العالم المتطور و(٣) لانها تستدعي الايمان بوجود الكائنات منذ الازل (٤) واخيراً ان ولس انحرف قليلاً عن الفكرة العلمية الصحيحة بوضعه امام العوامل التي يمكن التحقق منها علميًّا — وهي المادة والطاقة والبروتوبلازم والعقل — عوامل روحية لا تأتلف والعلم الوضعي . ولكن رغماً عن كل ذلك ، فقد كان ولس يصرُّ على ضرورة التسلسل

والاستمرار في التطورات الطبيعية التي تسيطر على جميع الكائنات

﴿ الصورة التي رسمها « تشارلز كنغزلي » ﴾ من السخف ان نظن ان مجرد لفظ كلمة «تطور» يوصلنا الى فهم نشوء أصل الكائنات الحية اذ لا يستطيع احدنا ان يمكن تتابع المشاهد الكونية ليرى كيف ظهرت الطيور الاولى من صلب زحافات « الديناصور» Dinosaurs المنقرضة ، فاننا رغم عجزنا عن اثبات هذه التحولات اثباتاً جازماً ، لا نستطيع الا ان نسلم بصحتها كما نسلم بصحة الحوادث التي جرت قبل التاريخ . فاننا عند ما نقول: «ان الطيور نشأت من الزحافات » لا نعني بذلك اننا علمنا كيف حصل ذلك النشوء ، وليس ذلك بغريب ؛ فاننا لا نستطيع مثلاً ان نوضح كيف نشأت الدجاجة الفضية من الدجاجة الوحشية قاطنة الهند في مدة قصيرة . فكيف نستطيع تعليل الخطوات الكبيرة كنشوء الطيور الاولى . على اننا في جميع هذه الحالات يجب ان نتذرع بالصبر ونمضي في سبر غور العوامل التي عملت ولا تزال تعمل في احداث التغيرات التطورية . فعوضاً عن ان نقول « ان نشوء الطيور او الانسان امر عجيب ينطوي على قوة روحية لا يستطيع العلم معرفة كنه حقيقتها » يجب ان نقول « ان هذه المشكلة تستدعي التفكير والاحاطة بها احاطة تامة تبعدنا عن التسرع في الحكم فيها » اذن فنكرة « ولس » تظهر كمن يحاول ان يمنح العمليات الطبيعية هبات روحية

وفي كتاب « تشارلز كنغزلي » الخالد المسمى «اطفال الماء » وردت عبارة جميلة لا بأس من درجها هنا . يقول المؤلف : عند ما اتى الطفل اخيراً الى احضان امه الطبيعة ، مؤملاً ان يجدها منصرفة الى اعمالها الكثيرة ، رآها ساكنة مكتوفة الايدي، فاستغرب حالتها هذه . عندئذ اجابته بحكمة قائلاً «انظر يا بني ! انني أجعل الموجودات ان تكوّن نفسها بنفسها ». ومن هنا نستطيع ان نقف على ما ذهب اليه « كنغزلي » في هذه الصورة الخيالية لتفسير اعمال التطور

﴿ بين لابلاس ونابليون ﴾ كانت النظرية السديمية للرياضي الفرنسي لابلاس Laplace مقدمة للنظرية الحديثة في تولد نظامنا الشمسي . فقد اظهر لابلاس عام ١٧٩٦ ان الادلة متوافرة على ان الشمس والسيارات ترجع الى اصل واحد مؤلف من كرة غازية مشتعلة تدور حول مركزها وتدعى بالسديم، وهذا هو الراي الشائع الذي اذاعه الفيلسوف « كانت » Kant عام ١٧٥٥ . والرأي العام متفق في الوقت الحاضر على الاصل السديمي لنظامنا الشمسي وغيره من الانظمة الكونية المشابهة . على ان الذي يهمنا الآن هو ليس النظرية السديمية ، بل مقابلة لابلاس لنابوليون . وملخص الحكاية ان الامبراطور سأل العالم الفلكي عن الغرفة او المكان الذي يسكنه الله في «ميكانيكيته السماوية» فاجابه لابلاس ان لا قيمة لمثل هذا الفرض ، الا ان هذا الجواب اسيء فهمه كثيراً ، وذلك لاننا اولاً لا نستطيع ان نتصور ان لابلاس لم يكن رزيناً في موقف لا يجوز فيه الثرثرة وبوجه خاص امام شخص كنابوليون ، وثانياً يمكننا ان نتأكد ان لابلاس لم يحاول ان يظهر بمظهر الملحد، وكل ما قصده العالم هو انه لا يمكن ان نتكلم عن الله

وعن الجاذبية في وقت واحد . فاذا سلمنا بنشوء النظام الشمسي من الاصل السديمي بصورة طبيعية ، عندئذٍ لا يبقى شأن لفرض شيء آخر غير ذلك . وكان يرى لابلاس من هذا القول الى ان فكرة الآلة الجليلة التدرهي غريبة في نطاق الكون بالنسبة لعالم الفلكي ، وان المشكلات العسرة في العلم لا يمكن انارتها باي ضوء ديني

ومع ذلك اذا اعتبر الفلكي بصفته فلكيًّا ان نظام النجوم مستقل وقائم بذاته ، لا يكون قد طعن بالله بل بالعكس دلّل على حكمته وقدرته في تحويل الاجرام السماوية ذلك النظام البديع المحكم . اذن فليس ثمة من تناقض في قبول الفلكي النظرية السديمية من جهة وفي مشاركته المتدين في تمجيد الله من جهة اخرى . والمهم في الامر ان لابلاس اراد ان يقول ، انهُ ليس من حرج على العالم التطوري الحديث الذي يرفض مزج الافكار اللاهوتية بالافكار المقتبسة من الاختبار والتجربة في ان يكون متديناً ومتحمساً لدينه كالاستاذ «لويد مورغن» Prof. Lloyd Morgan

﴿العلم والفلسفة﴾ يدور البحث العلمي على المشاهدات الدقيقة التي تتكرر مراراً ، وعلى التبصر والتفكير للوصول الى النتائج المنطقية المترتبة على المشاهدات فهو لا يعنى بالفلسفات الاخرى التي لا تقوم على اساس محسوس قابل للقياس ، والفرق بينه وبين الفلسفة هو ان نظرة العلم الى الاشياء تبدأ من التجارب المادية بينما نظرة الفلسفة عامة شاملة . ويمكننا ان نقول ان الفلسفة هي التفكير الاستنتاجي لمجموع المبادىء التي تقررها تجاربنا واختباراتنا ومن واجب الفلسفة الحديثة ان تعنى بكل النتائج التي تصل اليها التحقيقات العلمية واذن فيجب ان نتقبل كل طريقة تفسيرية وافية كالنتائج العلمية لنظرية التطور او الوراثة ، وعلى هذا يبدأ عمل الفلسفة في الواقع حين تقف التجارب والملاحظات العلمية

﴿ما هي الحقيقة﴾ اذا قلنا ان العلم ينقل الينا ما هو مضبوط ومدقق ويؤدي بنا الى اكتشاف الحقيقة نكون قد اقتربنا من الهدف الاصلي . ويمكننا ان نشبه البحث العلمي بالصيد بشبكة نظمت عيونها بحيث لا تستبقي الا صفوفاً معينة من الحقائق ، وللعلم اساليب في البحث خاصة فهو لا يكون تامًّا ما لم يحافظ على السير ضمن نطاقها ، ومع ذلك اذا ما ذهب الفسيولوجي يبحث في حياة الحيوانات في غابة ما ثم عاد ينبئنا بعدم عثوره على اثر من العقل في بحثه ، عندئذٍ يجدر بنا ان نتذكر ان العقل لا يمكن اكتشافه بالوسائل الفسيولوجية . فالعقل هو نوع من السمك الذي لا تستطيع شبكة الفسيولوجي القبض عليه

﴿هل هناك تأثير متبادل بين العلم والدين ؟﴾ ان الموقف الذي وقفناه والذي لا نزال ندافع عنهُ هو انهُ اذا كان كل من العلم والدين مخلصاً لغايته الخاصة فلا يترتب على ذلك وجود اي تناقض بينهما في نظرهما الى الاسس الجوهرية ، لان العلم يحاول ان يصف ما حدث وما قد يحدث بتعبير « الدال المشترك الادنى » Lowest Common Denominator كالالكترونات

والبروتونات والاشعة والبروتوبلازم والعقل في حين ان الدين يحاول ان يكتشف ويفسر الطبيعة ومركز الانسان فيها بتعبير «المقياس المشترك الاعظم» Greatest Common Measure وهو الله

ولكن اذا اردنا ان نعطي للعلم ما هو علمي ، وللدين ما هو ديني — المشاهدات للاول والتفسيرات اللاهوتية للثاني — فهل ثمة اي تأثير لاحدهما في الآخر ؟ لهذا السؤال اربعة اجوبة :

(١) ان النتائج العلمية يجب ان تدخل في تضاعيف الدين لتزيده رونقاً وفعلاً في النفس

(٢) يجب ان لا يتجاهل العلم الحقائق التي يتوصل اليها الدين بالاختبار

(٣) يجب ان يتجنب الدين التعرض للحقائق العلمية المستقراة من المشاهدة والاختبار

(٤) يجب تمحيص الاستنتاجات العلمية وتطهيرها من العناصر التي لاتمت الى العلم بصلة

﴿الفكرة العامة للتطور العضوي﴾ ان الفكرة العامة للتطور العضوي معناها ان الحاضر وليد الماضي وابو المستقبل . فنظام الطبيعة الحية يظهر لنا كسلسلة متتابعة من التحولات تقدمت فيها الحياة وارتقت وظهر على اثرها ضروب جديدة في عالمي الحيوان والنبات

فسّر هذه الفكرة العلامة « اراسموس دارون » عام ١٧٩٦ ، ففي كلامه عن « هيوم » Hume يقول : « استنتج (اي هيوم) ان العالم تولدا كثر من ان يكون قد خلق ، وانهُ قد نشأ بالتدريج من عناصر اولية صغيرة جداً فيها نشاط ذاتي كامن ، اما انهُ (اي العالم) قد « تطور » فجأة بقوة الارادة الالهية فأمر لا نستطيع الوثوق منه او الركون اليه » . ان كلمة «تطور» الواردة في القسم الاخير من هذه العبارة تقصد بها « الخلقة » وليس « التطور » اذ انها استعملت عوضاً عن كلمة «تطور» بمعناها العلمي المعروف . ويفهم من الجملة عامة ان جد دارون كان يرمي الى تشبيه النشوء العضوي للفرد من جرثومة (كالفرخ من البيضة) بنشوء العالم وما عليه من كائنات ابتدائية صغيرة جداً . فالفراشة تنشأ من دودة وهذه من بيضة ، والضفدعة تنشأ من الدعموص وهذا من بيضة ايضاً . ان كل هذه العمليات تشبه التطورات السلالية Racial evolution في استمرارها وتحولها التدريجي . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لا تشبه التطورات السلالية من حيث ان الجرثومة ليست بداية بسيطة جداً ولكنها نتيجة الاحقاب وغنية بميزات ورثتها عن العصور السحيقة في القدم

﴿ تعريف التطور العضوي﴾ التطور هو عملية تكوُّن تدريجي وهي فكرة واسعة يصعب تحديدها . وقد نرى في المستقبل ان في استطاعتنا تمييز ثلاثة انواع من التطور : لا عضوي وعضوي واجتماعي . ونحن يهمنا في الوقت الحاضر البحث في نشوء وارتقاء وظهور واختفاء النباتات والحيوانات والانسان بصفته جسم حي . ويمكننا ان نعرف التطور العضوي بانه انتقال سلالي في جهة معينة تنشأ في خلاله انواع جديدة تشق لنفسها طريق الحياة ، وقد تحل محل الانواع التي نشأت منها او تسير جنباً لجنب معها . وكل ذلك يحصل بتحولات مستمرة تابتها البحث العلمي

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

معرض المذاهب السياسية

—٣—

﴿العظامية الانكليزية في القرن الثامن عشر﴾ : كتبنا هذا الفصل عن العظامية الانكليزية لانهُ يفسر الى مدى بعيد العظامية في الامم الاخرى — ومنها الامة العربية — في اكثر الاعصر التاريخية . والنظام العظامي الاريستوقراطي هو نظام متأصل في الانكليز وقد مثل دوراً من اهم ادوار حياتهم السياسية والاجتماعية . ولا يتلكأ العظاميون منهم ان ينسبوا كل المحامد التي تتغنى بها امتهم الى هذه الشكيمة العريقة في دمائهم والى ما بني عليها من نظام محافظ . وتتجلى القواعد التي قامت عليها هذه العظامية في ردّ الفعل الذي حدث في انكلترة من جراء الثورة الفرنسية الكبرى التي حدثت في سنة ١٧٨٩ فالاريستوقراطيون الانكليز استخدموا انواع الشدة في ابان تلك الثورة وعقيبها لاجتثاث كل حركة حرة من اصولها واستعصروا ادمغتهم لكي يؤلفوا فلسفة ترتكز عليها دعاويهم الطويلة العريضة في حق الحكم، ومعلوم ان قواعد الثورة الفرنسية قامت على استصراخ الادراك الانساني من اعماقه والاستناد الى مقتضيات الفهم السليم . بيد ان الاريستوقراطية الانكليزية لم تتنزل الى مقارعة الثورة على هذا الاساس ولا الى مجادلتها في هذه القواعد بل قالت بلسان (ادمند برك) خطيبها وكاتبها السياسي انها تأبى على الادراك الانساني ان يكون الاساس الصحيح للسياسة وعلى المنطق ان يكون المركز الذي ترتكز عليه فلسفتها ، واظهرت بكل ما اوتيت من عارضة وبلاغة شأن الوضع السياسي التقليدي المعنعن الذي تمثل في الاختبارات والتحارب المجموعة في قبضة طبقة من الحكام الوراثيين هي الطبقة الاريستوقراطية او هم «اهل الحل والعقد» كما في تاريخ الاسلام. فهذه الفلسفة التي قال بها (ادمند برك) يومئذٍ هي سرّ الحكمة الاساسية التي يبني عليها العظاميون المحافظون حجتهم في انكلترة الى يوم الناس هذا بل هي التي اشار اليها افلاطون في « الجمهورية » في القرن الرابع قبل المسيح

ولا مراء ان هنالك فرقاً واضحاً بين عظامية الانكليز اللينة هذه وبين عظامية الفرنسيين

القاسية التي كانت سبباً مباشراً للثورة . فالقارىء يذكر ان شكل الحكم في فرنسا يومئذ كان ملكياً من دونه طبقة اريستوقراطية تمتعت بالشيء الكثير من الامتيازات والمنافع من غير ان يكون لها سلطة سياسية ، وكانت ابواب هذه العظامية موصدة في وجه جميع الطامحين المستجدين ولو جمعوا ثروة طائلة في التجارة او الصرافة ، وكانت الاسلاب التي خولتهم امتيازاتهم ان يسلبوها من الناس ويتمتعوا بها عبئاً ثقيلاً اناخ على صدور الفلاحين بكلكله واثقل كاهلهم ، وكانت الضرائب فادحة تبذل بسخاء على الجيش لتأييد السلطة الوطنية والدفاع عن نفوذها ، وادى اعفاء الطبقة العظامية من الضرائب الى انتقال عاتق الصناعة والتجارة وزاد في اعباء الدهماء من الشعب . لذلك لم يندمج الرجال النابهون في الطبقة الحاكمة بل بقوا خارجها ليشتركوا في الثورة مع الفلاحين الجائعين المنهكين ومع العمال البائسين المستائين

اما في انكلترة فكان للعظامية سلطة سياسية نافذة عدا الامتيازات التي تمتعت بها ، ولكنها اظهرت من الحكمة والكياسة انها لم تعفر نفسها من الضرائب بتاتاً ولا اوصدت ابوابها دون الطامحين المستجدين من الرجال الناجحين سواء من صاهر منهم العظاميين فاتصل بهم او من نال حق الانتقال الى العظامية برخصة رسمية حصل عليها لمال جمّ جمعهُ في التجارة او الصناعة او الصرافة ، فهذا الموقف اعترف بشيء من الحق يكتسبه العامة بالثروة او المصاهرة او الجاه فيصبحون من اهل الحسب . وفوق ذلك فالعظامية الانكليزية لم تقف في البلاد وقفة سلبية انانية بل اشتركت في ترقيتها الاقتصادية بهمة ونشاط . وهذا جميعه مما حال دون اجتماع العناصر العدائية عليها كما حدث لفرنسا يومئذ فأدى الى ثورتها في حين احتفظت العظامية في انكلترا بنفوذها وخرجت من جميع تلك العواصف الاوربية المزعزعة سليمة بمجرد اصلاح برلماني يسمى اصلاح سنة ١٨٣٢ ثم انتقلت الحكومة بالتدريج من سلطة نيابية عظامية كانت انكلترا اسبق الدول الى استنانها الى سلطة عصامية ديموقراطية اصبحت شكل الحكم المطلوب في الدول الناشئة في القرن الثامن عشر . اما هذا الاصلاح البرلماني الذي حدث في سنة ١٨٣٢ فقد وسع حق الانتخاب حتى شمل الطبقات المتوسطة فقط فكان على طبقة العمال ان تنتظر حقها في الانتخاب الى ان قرّره البرلمان في سنتي ١٨٦٧ و١٨٨٤ ولكن انكلترا ام الوضع النيابي لم تصر ديموقراطية حقاً تتمتع جميع طبقاتها بالانتخاب الا يوم نال النساء هذا الحق بقرار برلماني في سنة ١٩١٨ بيد ان الاسماك جاء متأخراً جداً فما وصل « الترياق من العراق » الا والطريقة الديمقراطية النيابية معبودة الرئيس ودرو ولسن وحجة الدول الغالبة على المانيا في الحرب العالمية — قد اقتحمتها طرائق اخرى ادعت الافضلية عليها وبارزتها في الميدان براز الند للند ؛ وزاد في الطين بلة ان اشراك النساء في الشؤون السياسية لم يحقق حلم الذين عقدوا عليه الآمال الكبار

وغني عن البيان ان القين الذي اظهرته الادارة الانكليزية على ذلك العهد حال دون وقوع الكارثة ، ويذهب بعض الاجتماعيين الى ان هذا التكيف في الانكليز او القابلية التي تنحني من غير ان تنكسر هي الخلة القومية التي حالت دون الثورات العظيمة في بلادهم في حين ان من طبيعة الفرنسيين التصلب التام وان يحاولوا التمسك بكل شيء الى ان يرغموا على ترك كل شيء ، هذا شأنهم في حربهم وسلمهم واحتلالهم وجلائهم وكل شأن من شؤون ادارتهم ، وقد تجلى في ايامنا هذه في مواقفهم العنيدة في المطالبة بالديون التي لهم كاملة وابتلاعهم الديون التي عليهم كاملة ، والاصرار على ان يبقوا مكتسين بالسلاح الى قة الرأس وان يعروا خصومهم منهُ الى الخمص القدم ، بل ان هذه الخلة فيهم ظهرت بثوبها القشيب في عصبة الامم في جلساتها الاخيرة عند ما قدّم مندوب فرنسا تقريره عن سورية فانبرى لاعضاء العصبة ان يقابلوه بالتقارير التي قدّمت عن العراق وانتهت في اكتوبر الماضي بانتظامه عضواً فيها ، وان يتبينوا الاسباب التي ادّت الى تراجع سورية تحت ارشاد الفرنسيين . وان كانت هي السابقة في العهد العثماني . فما اعجب هذا الارشاد الذي يحاول عبثاً ان يسوق شعباً راقياً الى الضلال والاضمحلال

وعلى كل حال فالعبرة البليغة المستخلصة من الثورة الفرنسية ومن تلك الطبقة الفرنسية العظامية التي حاولت ان تمتص دماء الناس من غير عوض وعلى رأسها البلاط ومشروعاته الباهظة واستبداده اللامتناهي وعدم مبالاته بمطالب الامة هي مثل العبرة التي خلفتها لنا القيصرية الروسية الظالمة وعهد آل رومانوف في القرن الحاضر : دماء مهراقة وخراب شامل وثورة عاصفة لم تبق ولم تذر ، ومن العجب العجاب ان يرى المتتبع تباشير الشيوعية فجّة في الثورة الفرنسية كما يراها ناضجة في الثورة الروسية ، فقد قام في فرنسا في تلك الايام رجل ثوري اسمه (فرانسوي اميل بابوف) فنشر مذهبه السياسي فاذا هو لا يختلف في شيء عما حمله في صدره (لينين) و (تروتسكي) و (ستالين) وهذا التشابه والحق يقال درس تاريخي يجب ان يتلى كل يوم على رأس الحكومات العنيدة المتصلبة التي ليس في منهاجها شيء يسمى مصلحة الشعب المحكوم ، والثورة اذا حدثت تكون مثل القنبلة اذا خرجت من فوهة المدفع — لا سلطة لاحد عليها . قال (بابوف) في صحيفته يومئذٍ [1] . «لماذا يتكلم الناس عن الشرائع وعن الاملاك ؟ فالاملاك هي حصّة المغتصبين والشرائع هي من عمل الاقوياء اما الشمس فتشرق على الجميع واما الارض فليست ملكاً لاحد . اذهبوا اذن يا اخواني وانشروا الفوضى في هذا المجتمع الذي لا يلائمكم واقلبوه رأساً على عقب ودكوه دكّا وخذوا منه كل شيء يعجبكم ، لان الفضلة هي من حق المعدم . وهذا ليس كل شيء ايها الاخوان والاصدقاء . بل

[1] The Revolt Against Civilization, Stoddard, P. 137

اذا وجدتم الموانع الدستورية عقبة في سبيل مساعيكم الكريمة فاسحقوا هذه الموانع وهذه الدساتير من غير تردد واذبحوا الغفاة والنبلاء والمموهين بالذهب من اصحاب الملايين وسائر هؤلاء الاشرار الذين يقاومون سعادتكم المشتركة . انتم الشعب الحقيقي الوحيد القمين بان يتمتع بخيرات هذا العالم : وعدل الشعب عظيم وجليل مثل الشعب نفسه فكل مايعمله مشروع وكل ما يأمر به مقدس »

وتعرف خطط (بابوف) من الجمل الآتية المستخلصة من بيانه الذي وضعهُ ليلة الثورة التي اعدها وسماه (بيان المتساوين) فقد جاء فيه من العبارات الجنونية الملتهبة قوله « ايها الشعب الفرنسي لقد عشت خمسة عشر قرناً ترسف في العبودية ومانشأ عنها من شقاء ، ومضى عليك ست سنوات (وهي سنوات الثورة) لم تكد في غضونها تتنفس وانت تنتظر الاستقلال والسعادة والمساواة — المساواة التي هي اول غاية في الطبيعة واول حاجة في الانسان وهي العروة الوثقى لكل اجتماع بشري مشروع

«نعم اننا نريد من الآن فصاعداً ان نعيش ونموت على قدم المساواة كما ولدنا ونحن ننشد التساوي الحقيقي او الموت — هذا مايجب ان نحصل عليه وسننال هذه المساواة حتماً بالغة مابلغت قيمتها . والويل ثم الويل لكل من يقيم نفسه حائلاً بيننا وبينها

«اما الثورة الفرنسية فليست الاَّ مقدمة فقط لثورة اخرى اعظم منها واكثر هيبة وستكون الاخيرة . واننا سنرضى بكل شيء في سبيل المساواة ونمنح كل شيء للتمسك بها وحدها . واذا اقتضى الحال فلتضمحل جميع الفنون على شرط ان تبقى لنا المساواة الصحيحة

« واخيراً لتختف الفوارق المثيرة للاحقاد بين الاغنياء والفقراء ، والكبراء والصغراء والاسياد والمسودين والحكام والمحكومين ولايبقى فرق في البشر عدا الفرق المبني على العمر وعلى الجنس . ولما كانت حاجات الناس وملكاتهم واحدة فلتكن لهم تربية واحدة وطعام واحد وهم جميعهم يقنعون بشمس واحدة وهواء واحد فليم يأتى لا يكتفي كل واحد منهم من الطعام بنفس الحصة وبنفس النوع ؟

« ايها الفرنسيون افتحوا عيونكم وقلوبكم لفيض السعادة الدوار واعترفوا معنا بجمهورية المتساوين واعلنوها في الخافقين»

لقد اطلنا فيما نقلنا من بيان (بابوف) عن ثورة التساوي هذه وعذرنا في ذلك اننا اردنا ان نبين ما تجنيه الحكومات الظالمة على المجتمع من الجنايات التي لايعرف احد عواقبها ، وغير نكير ان ثورة (بابوف) هذه خنقت في المهد ولكن الآراء التي انطوت عليها بقيت مشتعلة تحت الرماد الى ان سنحت لها الفرصة فاندلعت السنتها تحرق الاخضر واليابس وتهدد النظام الاجتماعي من اساسه

شذوذ الاعضاء في الانسان

يصادف الاطباء احياناً في ممارسة صناعتهم اشخاصاً اعضاؤهم الداخلية تشغل مكاناً مخالفاً كل المخالفة للمكان الذي يجب ان تشغلهُ في الحالة السوية وحيث يجدونها عادةً : كوجود القلب والطحال مثلاً في الجهة اليمنى ، والكبد والزائدة المعوية في الجهة اليسرى الخ . فما اسباب هذا الشذوذ يا ترى ، وهل وضع الاعضاء المذكورة هذا الوضع ملائم للحياة من دون تعرُّض اصحابه للخطر ؟ واذا ما تصفحنا التآليف العلمية وجدنا ان اول اكتشاف من هذا القبيل يرجع الى القرن السادس عشر أي لما شرعوا في ممارسة تشريح الجثث . وفي ايامنا هذه اكتشف كثير من حوادث الشذوذ بفضل اشعة اكس واستعمالها في فحص الاحياء . فتبين أن الشذوذ المذكور ليس لهُ اي أثر في اختلال وظائف الاعضاء بل ان علاقات هذه الاعضاء بعضها ببعض تبقى كما هي ، وفي غالب الاحيان ، ان لم نقل تقريباً دائماً ، يجهل اولئك الاشخاص المصابون بالشذوذ انهم مصابون به . اما من جهة أصل هذا التركيب المقلوب في الاعضاء الداخلية فيكفي على ما يظهر ان يكون واجد منها شاذاً (كوجود القلب مثلاً في الجهة اليمنى) حتى تتبعهُ الاعضاء الاخرى وتحذو حذوهُ

ولنلق الآن نظرة عاجلة على الشذوذ الذي يمكن ان يطرأ على مختلف الاعضاء . فمن جهة العيون يجب ان نذكر الشذوذ الناتج في غالب الاحيان عن توقف النمو . فقد ذكر الباحثون حالات كانت فيها العيون ناقصة وقت الولادة . وهذا النقص يصحب عادةً وجود ما يسمونهُ « منقار الاربة » وهو اسم يطلق على الشفة المشقوقة (Bec-de-lièvre) من فقد جانب من الانف . كذلك الجفون تكون ناقصة التركيب في بعض الاحيان : كوجود شقوق تبتدىء مثلاً في الطرف الذي تنبت فيه الاهداب وتتجه الى فوق . او أن تكون الجفون ضيقة جداً حتى لا تكفي عند انضمامها لتغطية العين . وما تقدم ذكرهُ عن العيون والجفون يقال ايضاً عن الآذان التي كثيراً ما تصاب ببعض النقص : كفقدان الصيوان والصماخ مثلاً ، وفي بعض الحالات قد تصاب بفقدان غشاء الطبل او الأذن الوسطى

﴿ شذوذ الدماغ ﴾ يندر جداً ان يكون المصاب بها ذا صحة جيدة وذكاء تام لما لهذا العضو من المكانة في الجسم . ومع ذلك فقد ذكرت حوادث غريبة تناقض تلك القضية الراسخة في الاذهان حتى اليوم . فقد تبين عند بعضهم فقدان جانب من المادة الدماغية . ورغم عن ذلك عاش المصابون به اعواماً طويلة من دون ان يطرأ عليهم ضعف عقلي او جسماني . ففسروا ذلك بان الاقسام السليمة في الدماغ نابت في فعلها عن الاقسام الناقصة

ومن الشواذ الاخرى في الدماغ التحام انكرات بعضها مع بعض التحاماً جزئياً او كلياً ، وظهور فتق عند الاطفال وقت الولادة يعرف بالقبلة الدماغية (Encéphalocèle) وهو فتق ناتج عن وقوف النمو ليس في الدماغ نفسه بل في عظام الجمجمة وبصحبهُ عادةً تعدد الأنسجة . فالمصاب بالفتق المذكور يندر أن يعيش والحالة هذه زمناً طويلاً

﴿ شذوذ جهاز الدوران ﴾ — القلب : ان مكانة هذا العضو خطيرة في الجسم حتى ليكفي ان يكون الشذوذ الذي قد يحصل فيه سبباً في اصابة اصحابه بأعراض خطرة ان لم تقل بتعذر الحياة عليهم . نعم انهُ يمكن المرء ان يعيش اذا كان قلبهُ في الناحية اليمنى من صدره انما لايمكن ان تكون الحالة كذلك عند ما توجد فتحة توصل بين اجواف القلب اليمنى واليسرى . وفي الحالة الاولى لا بدّ من وجود فاصل بين دم العروق والدم الشرياني . فامتزاج الدمين على هذه الشاكلة بسبب وجود الفتحة المذكورة يؤول اذ ذاك الى زرقة لون الجلد مع ضيق تنفس شديد ودائم . والاولاد المصابون بهذه الاعراض يموتون عادةً بعد ولادتهم ببضع ساعات ، وآخرون منهم يعيشون سنة او سنتين ونادراً يبلغون سنّ الرشد

﴿ شذوذ الجهاز التنفسي ﴾ يندر الشذوذ بوجه عام في المسالك التنفسية . ومع ذلك فقد لوحظ عند بعضهم نقص احدى الرئتين . وذو الرئة الواحدة لايكون معرّضاً والحالة هذه الاّ لضيق تنفس معتدل وغير دائم

﴿ شذوذ الجهاز الهضمي ﴾ الشفتان وسقف الحلق : الجهاز الهضمي اكثر الاجهزة تعرضاً للشذوذ في جسم الانسان كالعلم او الشقّ في الشفة العليا عند الاولاد وقت الولادة — وهو شق يتجه نحو المنخرين فيبلغهما في بعض الأحيان . وهذه الحالة يطلق عليها في بعض الاصطلاح الجراحي « منقار الارنبة » على ما ذكرنا اعلاه . وهي تشويه وراثي في كثير من الاحيان وحدوثهُ عند الصبيان ضعف حدوثه عند البنات ، وفي الشفة العليا اكثر منهُ الشفة السفلى . ويشغل الجهة اليسرى من الشفة العليا في الغالب (وهي الجهة الاكثر تعرضاً لذلك) او جهتي الشفة نفسها فيقسمها اذ ذاك الى ثلاثة اقسام (القسم الاوسط منها ارقّ من القسمين الجانبيين) او يكون الشق المذكور متوسطاً ومركزهُ تحت الأنف

ولحسن الحظ يمكن اصلاح هذا التشويه بعملية جراحية تعمل للطفل من الشهر السادس الى سنة بعد الولادة ما زال التشويه محصوراً في الشفة . امّا اذا تعدّاها الى عظم الفك الاعلى فيجب لذ ذاك الانتظار لاجراء العملية لدى بلوغ الولد السنة الثالثة من العمر على الاقل ولكن يشترط ان يكون سليماً قوياً . كذلك سقف الحلق الذي يمكن ان يُقسم الى قسمين بشق وسطي فيحدث حينئذٍ ما يسمونهُ في الاصطلاح الجراحي « حلق الذئب » (gueule-de-loup)

الأسنان : وهذه ايضاً لاتخلو من الشذوذ سواء في زيادتها عن العدد الطبيعي المعروف وفي هذه الحالة يصعب وجود مكان لها في الفم ، او انها تنبت خارجة عن اماكنها المعروفة ،

او يكون جذرها واصلاً الى محجر العين ، او قد يلتحم سنّان او اكثر . وعلى ذكر الاسنان يُروى أن پرّوس (Pyrrhus) ملك مقدونية الشهير الذي مات في سنة ٢٧٢ ق . م . كانت اسنان فكه ملتحمة بعضها مع بعض وتؤلف بتركيبها قطعة واحدة

ولا يسلم اللسان من الشذوذ . فاما ان يكون مربوطاً الى اسفل الفم بعَصَبة قصيرة جدًّا وهذه حالة نادرة ، او ان يكون مشقوقاً كلسان الافعى

المعدة والمعى والحجاب الحاجز : اهم الشذوذ التي يمكن ان تحصل في العضوين الأولين هي زحولهما عن مكانهما . اما الحجاب الحاجز وهو الفاصل بين الجوف الصدري والجوف البطني فقد لوحظ فيه عند بعضهم وجود فتحات غير طبيعية مما يؤول الى دخول بعض الاعضاء البطنية في الجوف الصدري . ويجب ان نذكر ايضاً هنا فتق السرّة عند الولد وقت الولادة . وهو فتق صغير الحجم يسهل اصلاحهُ بواسطة العصاب ، لكنهُ قد يكون كبيراً في بعض الاحيان حتى ليحتوي على الجانب الاكبر من اعضاء الجوف البطني — والكبد احياناً . فتسوء اذ ذاك حالة الولد وتتعذر ملافاتها بالطرق الجراحية وغالباً تكون العاقبة وخيمة

وثمة شذوذ آخر في الجهاز الهضمي على جانب عظيم من خطورة الشأن هو انسداد فتحة الشرج وقت الولادة . فلكي تتاح الحياة للطفل لا مندوحة طبعاً عن اجراء فتحة صناعية بواسطة الجرّاح . انما توجد حالات لا يمكن اجراء هذه العمليات فيها وبذلك يقضي الطفل نحبهُ

الكبد : لا غنى لحياة الانسان عنها والتصانيف الطبية لم تذكر في وقت من الاوقات عدم وجودها عند احد من الناس . بل بالعكس اكتشفوا انها كانت احياناً مزدوجة بكبد أخرى تابعة لها

﴿ شذوذ جهاز البول ﴾ — الكلى : هي من أهم الاعضاء في جسم الانسان ولا يمكن ايضاً الاستغناء عنها كالكبد لكن احدى كليتي الانسان يمكن ان تكون ناقصة وقت الولادة وكثيراً ما نرى اناساً يعيشون بكلية واحدة بعد استئصال الاخرى منهما بعملية جراحية والمولود بكلية واحدة تكون كليته عادة اضخم منها في الحالة السوية لقيامها بوظيفة الاثنتين . واغرب ما شوهد من هذه الوجهة اتحاد الكليتين معاً فتتكوّن منهما كلية واحدة كائنة امام العامود الشوكي بشكل هلال او حدوة

الحالبان : يسلان الكلية بالمثانة كل واحد من جهة كما هو معلوم . لكن يحدث ان يكون كلاهما في جهة واحدة . وتوجد حالات تتصل فيها واحدة من هاتين القناتين او كلتاهما بالمعى المستقيم او الاعضاء الاخرى المجاورة بدلاً من أن تتصلا بالمثانة ، مما يؤول الى درّة البول بصورة مزعجة وغير محتملة . اما المثانة فلا تخلو من شذوذ يطرأ عليها ويكون ذلك بسبب توقف نموها فتفتح اذ ذاك الى الخارج لعدم وجود قسم الجلد الذي يغطي البطن فتكون النتيجة درّة البول والالتهابات الحادة بتعرض غشاء المثانة المخاطي الى الخارج وهي حالة من شأنها تكدير عيش المريض وانقلاق راحته . فللتلافي هذه العلة المزعجة لا مندوحة عن طلب مساعدة الجراح ليقوم بعمل العملية اللازمة

العراق — الدكتور عبده رزق

على ذكر المجمع اللغوي الملكي

حاجتنا اللغوية الى مجمع يوثق به

للسيد محب الدين الخطيب صاحب مجلة « الفتح »

الحاجة الى مجمع لغوي

قاعدةٌ مطّردة يجب علينا ان نراعيها في جميع ما نحن عازمون على القيام به من ضروب الاصلاح والتجديد ، وقد جرّب العملَ بها ثلاث امم عظمى في ادوار التاريخ الثلاثة فكانت سبب عظمتهنّ وسر تفوقهنّ على امم الارض : الرومانيون في الازمنة القديمة ، والعرب في الازمنة المتوسطة ، والانكليز في الازمنة الحاضرة . هذه القاعدة هي ان لا تهمل الامة من تقاليدها الاّ ما تبين ضرره ، وان لا تأخذ من تقاليد غيرها وأوضاعهم الاّ ما اوجبت الضرورة اخذه . فالمهارة في اخذ ما يجب اخذه وترك ما يجب تركه هي سرّ عظمة هذه الامم الثلاث واستفحال سلطانها

واللغة احد الاوضاع الجليلة الخطر في كل امة ، وهي كائنٌ حيٌّ : يجب أن تبقى له خصائصهُ وسجاياه المميزة له عن غيره ، ويجب ان يتغذى دائماً بما يكفل له البقاء والنماء ، ويجعله صالحاً لأداء وظيفتهِ في الحياة . وأيّما امة تخطىء مناهج الصواب في تغذية لغتها ترتكب بذلك جريمة لا تجاء لها منها . واللعب في مصير اللغات أعظم خطراً من اللعب بمصير الاوطان ، والخيانة في ذاك شرّ من الخيانة في هذا . ومن الخيانة ما يتمّ على ايدي اناس وهم في غفلة عن نتائج ما يعملون ، وفي مثل هؤلاء هبط الوحيُ على قلب سيد المرسلين ، من كلام رب العالمين بأنهم « اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا : انما نحن مصلحون : ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »

ان سلطان العربية في سجاياها الخالدة التي ما برحت مرآة كل عصر وكل جماعة وكل بيئة ، رغم خلودها وثباتها ورسوخ أصولها

أرأيت لو اني عثرت على قصيدة من قصائد بشّار المفقودة ، وعرضتُها على انظار قرائي الى جانب قصيدة للرُّبَيع بن ضُبَيع — دون ان اسمّيَ ناظميها — هل يشكُّ القراء في ان القصيدتين من عصرين مختلفين ؟ انهم لا يشكّون في ذلك قط لأن شعر الرُّبيع مرآة صادقة

لعصره وبيئته ، كما ان شعر بشار مرآة صادقة لعصره وبيئته . حتى فيما حاول بشار ان ينحو فيه نحو الأعراب من شعره، مع ان سجايا اللغة في شعر الربيع وبشار ما برحت محتفظة بسلطانها مستقرة في مكانها . وكذلك الحال في شعر المتنبي ومحمود سامي البارودي وكل عبقري كانت هذه اللغة ترجمان الدقيق من خواطره والسامي من الهاماته ؛ فهي قد اتسعت لاغراضهم دقة وسموًّا — بعد ان وسعت كتاب الله لفظاً وغاية — فلم يخرجوا على قوانينها ولم يتمردوا على سجاياها

قلت ان اللغة يجب ان تتغذى دائماً بما يكفل لها البقاء والنماء ، ويجعلها صالحة لأداء وظيفتها في الحياة . وهذا حقٌّ لا يرتاب فيه عاقل ، وعليه مضى الذين سبقونا في هذه الصناعة في الدول العربية المتقدمة فضربوا في ذلك بسهم على قدر حاجتهم ، مراعين قوانين التغذية التي لا طغيان فيها على سجايا اللغة وخصائصها ، ولا خروج فيها على انظمتها وقوانينها . وان الامة التي تريد ان تجاري الامم الراقية في اقصى ما وصلت اليه من معارف البشر لا بدَّ لها من ان تغذي لغتها بالالفاظ والاصطلاحات الدالة على تلك المعارف فتأخذ من ذلك على قدر الحاجة وتستعمله في مكان الحاجة ؛ فيكون من ذلك لغة للعلم غير لغة الادب ، واساليب للبيان يليق كل منها بما استُعمل له

ان الدولة العربية في العهد العباسي لما رأت طغيان التغذية في اللغة أصبح مجلبة شرور لا يجوز الاغضاء عليها بما يرتكبهُ المترجمون من شحن العربية بالفاظ اعجمية قد يكون في العربية ما يغني عنها ، فضلاً عن سوء ترجمتهم للاصطلاحات العلمية ، وتبذلهم في الاساليب الكتابية بادر رجالها في الحال الى الاخذ على ايدي ضعاف المترجمين فمهدوا بمهمة تغذية اللغة من الجانب العلمي الى علماء بلغاء ينظرون فيما يترجمهُ المترجمون فيصلحون لغتهُ ، ويهذبون مصطلحاته ويقوّمون اساليبه ، احتفاظاً بخصائص العربية وسجاياها ، ولولا ذلك وغيره من مظاهر عناية الدولة والعلماء ، بل لولا كتاب الله تتلى آياته في كل بقعة من بقاع العالم الاسلامي ، لكانت العربية اليوم كاللغة اللاتينية انحطاطاً وفقراً وابتذالاً

وبعد فان اللفظة الاجنبية في الكلام العربي ، كالجندي الاجنبي في الوطن العربي . واذا كان في الاوطان العربية نفر يعرفهم الناس لا يسوءهم وجود الجندي الاجنبي يمشي بسلاحه فوق تربة الوطن المقدس فان جمهور الامة يحتقر من يرضى بذلك ويسمي عمله بالاسم اللائق به . واذا كان في حملة الاقلام من المنتسبين الى الآداب العربية نفر يعرفهم الناس لا يسوءهم العدوان على سجايا العربية ولا احتلال الالفاظ الاعجمية سطور كتاباتنا فان حكم الجمهور على هؤلاء لا يقل عن حكمه على اولئك ؛ لأن الامرين يرجعان الى معنى واحد

نحن نحتاج الى الفاظ جديدة تدلُّ على المعاني الجديدة ، ولكنا نريدها عربية يأنس بها كلامنا ، ونريدها ملائمة لخصائص لغتنا وسجاياها ، وغير متمردة على قوانينها وأنظمتها ،

سواء كان هذا الفرد منبعثاً عن نكاية او عن غفلة لهذا الغرض ، وبدافع من هذه الحاجة ، فكّر المفكرون في تأليف مجامعنا اللغوية وحاولوا غير مرة تحقيقها

تاريخ فكرة المجمع العلمي (١)

كان السيد عبد الله نديم اول من دعا — بطريق النشر — الى فكرة انشاء المجمع اللغوي (فاقترح ذلك في صحيفته (التكيت والتكيت) التي كان يصدرها في الاسكندرية سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م) ، فاخذت الفكرة في الاختمار من ذلك العهد . وحوالي سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨م) تناقلت الافواه خبر سعي جماعة من الفضلاء في تأليف مجمع لغوي برئاسة عبد الله فكري باشا ثم سعى السيد توفيق البكري رحمهُ الله — نقيب الاشراف يومئذ — في تأليف مجمع سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) فتمّ له تأليفهُ برئاستهِ (ويرى توفيق افندي حبيب في المقتطف ٧٢ : ٥٨) ان ذلك كان على اثر دعاية ويلكوكس الى الكتابة باللغة العامية) . وكان من اعضاء هذا المجمع الشنقيطيُّ الكبير والشيخ حسن الطويل والشيخ حمزه فتح الله واسماعيل صبري باشا ومحمد المويلحي بك وغيرهم من اساطين اللغة والادب . وكان عمر هذا المجمع قصيراً ، فانهُ عقد سبع جلسات اولها يوم ٢١ شوال سنة ١٣٠٩ هـ (١٨ مايو ١٨٩٢م) وآخرها يوم آخر رجب سنة ١٣١٠ هـ (١٧ فبراير سنة ١٨٩٣م). وفي المذكرة التي اعتمدت عليها في كتابة هذه النبذة أن من اعضاء هذا المجمع من انتظم فيه مكرهاً فلم يشهد الاّ الاجتماع الاول منه ثم انقطع عن حضور الجلسات . والالفاظ التي وضعها هذا المجمع واقرها عشرون لفظة :

عشر منها من وضع رئيسهِ السيد توفيق البكري وهي (مَرْحَى) لكلمة (برافو) Bravo ، (بِرْحَى) لكلمة في الأ، و(مِدْرَه) لكلمة افوكاتو Avocat، و (المِسَرّة) لكلمة تيلفون Téléphone ، (وعِمْ صباحاً) لكلمة بُونجور Bonjour ، و (عم مساء) لكلمة بون سّوار Bonsoir ، (والبهْو) لكلمة صالون Salon، والقفّاز لكلمة جوانتي، و(النُّمْرة) لكلمة نومرو Numéro ، و (الوشاح) لكلمة كردون Cordon

وعشر من وضع السيد محمد بك المويلحي وهي (الطنف) لكلمة بلكون Balcon ، و (الخرّاقة) لسفينة التوربيد port Torpille ، و(الجديلة) لكلمة مُودة Mode ، و (بطاقة الزيارة) لكلمة كارت ڤيزيت Carte de Visite ، و (المرقب) لكلمة كلوب Club، و(الحذاقة) لشهادة الدراسة كالبكلوريا ، و(العاطف) و (المِعْطف) للبالطو او الباردسّو Pardessus ، و (حصب الطريق بالحصباء) لجملة وضع المكدام في الطريق ، و (الشرطي) و (الجلواز) و (التؤتور) لرجل البوليس ، و (المِشْجَب) للشماعة Portemanteau

وقد انتقد السيد عبد الله نديم هذه الكلمات في مجلتهِ (الاستاذ) فاختار (مَخر) لبراڤو ،

(١) تلقيت اكثر ما ورد في هذه النبذة عن مذكرة كتبها أعلم رجالنا في هذا الموضوع

إرحي بهوّه الكئيبَ فما فيـ ـهِ لعينيكِ بهجةٌ تتجلّى
قد نزلتِ العشيُّ فيهِ على قد ـرِ جفنَيْهِ الحياةُ ماتَ وظلاّ !

كان هذا المكانُ روضاً نضيراً جرَّ فيهِ الربيعُ بالأمس ذيلا
كانَ فيهِ زهرٌ فعاد هشيماً كان فيهِ طيرٌ ولكنْ تولّى !

فاسلمي من شقائهِ ودعيهِ وحدَهُ يصحبُ السكونَ الملاّ
واطرقي غير بابهِ إنّ روحي أحكمتْ دونهُ رتاجاً وقفلا !

أوقوناً الى الصباح ببابي !! شدَّ ما جشّمتهِ غباءً وجهلا !
ابعدي من وراء نافذتي الآ ن ! ورفقاً إذا التثمتِ ومهلا !

إن من تحتها هزاراً صريعاً سامهُ البردُ في العشيةِ قتلا
وأزاهيرَ حولها ذابلاتٍ مزّقتها الرّياحُ في الليلِ شملا

كان لي في حياتها خيرُ سلوى فدعيني بموتها اتسلّى
فهي بُقيا صبابةٍ ودموعٍ جئتها عندها شعاعاً وظلاّ !

ان عيني بها أحقُّ من المو تِ وقلبي بها من القبرِ أولى
جُنَّ قلبي فاستضحكتْهُ المنايا حيثُ أبكتنيَ الحقيقةُ عقلا

لا تطيلي الوقوفَ أيتها الاشـ ـباحُ فمضيّ فما رأيتكِ قبلا
أولم تسمعي ؟ جهلتكِ من انـ ـتِ ! فعودي !! فما كذبتكِ قولا !!

من هذه الالفاظ واعلنوا انهُ اذا مضى على نشرها شهر كامل ولم ترد اليهم ملاحظات اعتبرت رأياً عامًّا للجميع الاعضاء ، وكان عليهم ان يستقرها بالسنتهم واقلامهم حتى تكون لغة من يشتغلون باللغة العربية . ثم بدا لهم جمع ما تشتت من تلك الالفاظ في اعداد السنة الثانية فجمعوها ونشروها بعد تعديل فيها في العدد الثاني من السنة الثالثة مرتبة على حروف المعجم ، ثم تعطلت المجلة والنادي

وفي سنة ١٩١٧ اقام اسماعيل بك عاصم مأدبة في داره لصاحبي المقتطف حضرها بعض الفضلاء ، فاقترح بعضهم السعي في تأليف مجمع لغوي ، فتم تأليفه برئاسة شيخ الجامع الازهر ، وكان من كبار اعضائه احمد تيمور باشا وحفني بك ناصف والشيخ احمد الاسكندري والشيخ احمد ابراهيم واحمد كمال باشا واحمد زكي باشا والشيخ مصطفى العناني والدكتور يعقوب صروف . وكان يوالي اجتماعاته في دار الكتب المصرية ، والف منهُ لجانًا تشتغل كل لجنة منها بفرع من فروع العلوم والفنون فتضع لمصطلحاته الكلمات اللائقة بها . وحال بينه وبين الاستمرار اشتغال مصر بحركتها الوطنية بعد انتهاء الحرب العظمى . فلما جُعل عبد الحميد بك ابو هيف مديراً لدار الكتب رأى ان يسعى في استئناف المجمع اعماله فدعا اعضاءه الباقين الى الاجتماع بدار الكتب مساء يوم الثلاثاء ١٣ جمادي الثاني سنة ١٣٤٤ (٢٩ ديسمبر ١٩٢٥م) فاجتمعوا برئاسة وكيل المجمع الشيخ محمد بخيت وألفوا منهم لجنة للسعي لدى الحكومة في الاعتراف بهِ . ثم انتقل عبد الحميد بك ابو هيف الى رحمة الله تعالى ورضوانه فلم يجتمع المجمع بعد ذلك

وفي ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٤٠ اجتمع بعض اعضاء المجمع الذي تقدم الكلام عليهِ ، وضموا اليهم خليطاً غير متجانس من الادباء ، واعلنوا تأسيس مجمع لغوي لتأليف معجم عصري يجمع بين مادة المعجم العربي القديم وبين ما استعمله الادباء المحدثون وما يضعه المجمع نفسه من الاوضاع والمصطلحات . قلت : ان هذه الجمعية تألفت من خليط غير متجانس لان فيمن انتسب اليهم — ولو بالاسم — رجالاً يعدون من كبار اهل الادب ، كما ان فيهم من لا علم له بالقواعد الاولى من علم الصرف ، بل فيهم من لا يحسن مراجعة لفظة في القاموس المحيط ، وكانوا يحاولون ان يحملوا من للحكومة على اعتراف رسمي يخولهم الحرية في العمل ، ويفتح لهم باب المساعدة على ما هم فيه ؛ فلم يظفروا ببغيتهم ، فكان ذلك قاضياً على مجمعهم

صفات عضو المجمع اللغوي

ان الصفة الاولى التي يجب ان تلاحظ في عضو المجمع اللغوي العلمُ بقوانين لغة العرب وتاريخ تطورها ، والشعور بروح العصر وما يتطلبه في اللغة من احوال . وهذه الصفة في عضو المجمع اللغوي ترجع الى القاعدة التي قلت في صدر هذا المقال ان من الواجب علينا ان نراعيها في جميع ما نحن عازمون على القيام به من ضروب الاصلاح . وفي الحقيقة ان تلك القاعدة معيار التوازن في التجديد فاذا طغى احد جانبيها على الثاني كان في ذلك فقدُ التوازن ،

مهاتما غاندي

— ٥ —

العودة الى الهند

حان الوقت الذي اغادر فيه انجلترا ، وحصلت على اجازة بالسفر على الباخرة « آسام » في شهر يونيه . وكانت الرياح « الموسمية » Monsoon قد اخذت تهبّ عندما بلغنا بحر العرب وظلّ الجو عاصفاً طوال سياحتنا الى بومباي ، بعد ان غادرنا ميناء عدن . واصيب كل من كان على الباخرة بدوار البحر ، غير أني ظللت مُعافى ، وشعرت بكثير من السرور والمرح اذ كنت اقف على ظهر السفينة ارقب هياج العاصفة وتلاطم الامواج الثائرة . وكان اكثر المسافرين مصابين بالدوار ، فلم يكن يحضر الى غرفة الطعام للافطار سوى اثنين او ثلاثة أنا واحد منهم ، فتقدم لنا عصيدة القرطم في اطباق تتشبث بها في احضاننا لئلا تفلت منها العصيدة وتلوثنا

كانت العاصفة التي ترسل باهازيجها في الخارج ، رمزاً الى العاصفة الثائرة في نفسي . على أن عاصفة الطبيعة لم تستطع ان تهزّني او تزعجني . وعن هذا عجزت ايضاً العاصفة التي كانت تثور في نفسي . وكنت اتوقع ان اواجه عاصفة اخرى يثيرها اهل طائفتي . اضف الى ذلك ما كنت اشعر به من عجزعن ان ابدأ حياتي كمحام . ولما كنت بطبعي مصلحاً ، اخذت أكدّ نفسي في التفكير بأية ناحية من نواحي الاصلاح أبدأ . ولكن القدر كان يخبأ لي اكثر مما جال في خاطري

حضر أخي الاكبر من « كاثياوار » ليتلقاني على المرفأ . وكان قد تعرف بالدكتور « مهتا » واخيه . ونزلنا ضيفين في بيت اخي الدكتور « مهتا » بعد ان الحّ على اخي الحاحاً . وبذلك تحوّلت المعرفة التي بدأت في انجلترا الى صداقة دائمة بين الاسرتين وظلت طوال رحلتي الى وطني انطلع الى لقاء أمي . وكنت اجهل انها لم تعد بعد بين الاحياء لتتلقاني بذراعيها وتضمني الى صدرها . ولقد القى اليّ اخي بهذا الخبر المحزن ، بعد ان اخفاهُ عني في خلال اقامتي في انجلترا ، واراد بذلك ان يكفيني مؤونة الصدمة وأنا في بلاد اجنبية . والحق أن هذا الخبر كان صدمة عنيفة لي ، ولكن لم اتطوح مع الحزن والاسى . وكان حزني على فقد امي اعظم من حزني على فقد أبي . غير اني اذكر تماماً انني لم اتمادَ في التعبير عن حزني الى الحد الذي يخرجني عن الوقار ، حتى لقد استطعت ان احبس دموعي ، وان امضي في اعمالي كما لو كنت في حالتي العادية ، وكأن لم يكن في قلبي حزن عميق

قدمني الدكتور « مهتا » الى كثير من الاصدقاء ، كان أحدهم أخاه واسمه « ريفاشنكر جاجفان » وكان تعارفنا مقدمة لصداقة طويلة فلت طول عمرنا على احسن حال . ولكني أريد ان اشير على وجه خاص الى « تقدمة » قدمني بها الدكتور « مهتا » لشاعر رَيْشاند Raychand وهو يمت بقرابة الى أخ كبير من اخوة الدكتور « مهتا » ، واحد المساهمين في اتحاد الصاغة . ولم يكن هذا الشاعر قد تجاوز الخامسة بعد العشرين من عمره . غير ان اول لقاء به اقنعني انهُ رجل قويم الاخلاق واسع المعرفة . وكان يُلَقَّبُ « بالمُعَلِّمة »[1] Shatavadhani وحرضني الدكتور « مهتا » أن امتحن قوة ذاكرته ، فاخذت أعيد كلمات مما اعرف من مختلف اللغات الاوربية ، وسألتهُ ان يعيدها ، فأعادها على نفس الترتيب الذي نطقتُ به . ولقد شعرت بأني احسده على كفايته هذه ، غير اني لم أوخذ بها . اما ما أثار اعجابي به بحق فسعة معرفته بالكتب المقدسة واخلاقهُ العالية ، وتحرقهُ واشتهاؤهُ ان يحقق ذاته ويصبح بها مستقلاً في افق جديد . وكان هذا غرضهُ الذي من اجله يعيش . وكثيراً ما كان يردد « ابياتاً » من شعر « مكتانند » Muktanand كنت أشعر بأنها محفورة على صفحات قلبه :—

« أشعر بأني في نعيم عندما « اراه » (الله) في كل عمل من أعمال يومي . والحق انهُ المحيط الذي يصل حياة مُكْتانادْ »

كانت تجارة « ريشاند — باي »[2] تقوم بمئات الالوف من الروبيات . وكان خبيراً باللآلئ والماس . ولم تكن تعترضهُ مشكلة من مشاكل العمل الاّ وتصبح بين يديه سهلة هينة . ولكن كل هذه الاشياء لم تكن المحور الذي تدور من حوله عجلة حياته . اما حياته فكانت تدور عجلتها حول الشهوة في ان يرى الله وجهاً لوجه . فكنت ترى بين الاشياء الكثيرة المتناثرة على مكتب عمله كتاباً دينيًّا ويومياته . فكان لدى انتهائه من عمله يتناول الكتاب الديني او اليوميات . واكثر ما نشر من مؤلفات ، لم تخرج عن انها منتخبات من يومياته . والرجل الذي يستطيع أن يعكف توًّا ، وبتجرد ان يخلص من اعماله التجارية ، على الكتابة في الاشياء المخفية العميقة في اغوار النفس ، ليس برجل تاجر على اطلاق القول ، بل رجل يبحث عن الحق بكل معناه . ولقد شهدته مأخوذاً بأبحاثه الروحية وهو مغمور في لجة عمله التجاري مرات لامرة واحدة . ولم الاحظ انهُ فقد توازنه العقلي في اي ظرف من الظروف . ولم يكن بيننا اية علاقة دنيوية تربطنا ، ومع هذا فكنت اتبعهُ متابعة الظل . كنت في الاكثر محامياً مغموراً . ومع هذا فكنت لا أراهُ الاّ ويجرني الى الكلام في مسائل ذات صيغة دينية وعلى الرغم من

---

(١) الكلمة الهندية Shata-vadhani معناها الشخص الذي يستطيع ان يتذكر او يعي مائة شيء في آن واحد ، ويخيل الي ان كلمة اقرب كلمة عربية يمكن بها التعبير عن هذا المعنى (المترجم)

(٢) العادة المتبعة في مقاطعة جوجرات وبعض مقاطعات غيرها في الهند تقضي بان يضاف مقطع « باي » أو بهاي bhai (ومعناها اخ) الى اسم الصديق تكريماً واظهاراً للود

اني كنت حتى ذلك الحين ما ازال اتلمس طريقي تلمساً ولم يكن لي أية لذة في المناقشات الدينية، كنت أجد في حديثه هزة لا اعرف مبعثها . ولقد كان هذا سبباً في ان ازور الكثيرين من حكماء الدين ، وحاولت ان اقابل الكثيرين من رؤساء الطوائف الدينية . ولكن من غير ان يترك واحد منهم في نفسي من الأثر ما ترك « ريشاند — باي » فان كلماته كانت تنفذ رأساً الى اعماق نفسي، وحازت قوة عقله عندي من الاحترام ما لا يقل عن احترامي لجدّه الادبي، وتقتي التي لا يمكن ان يكتنفها شك في أنهُ سوف لا يغشني او يغويني ،وانهُ سوف يطمعني دائماً ويفضي بذات نفسه . ولذا لم اكن اجد غيره من منجاً، كلما ساورتني الازمات الروحية العنيفة

ومع هذا ، وعلى الرغم من عظيم احترامي له ، فاني لم استطع أن انزله من قلبي منزلة « الغورو »[1] — Guru — من نفسي . فان هذه المكانة ظلت خالية ، وما ازال ابحث عمن يشغلها حتى الآن . على اني اعتقد بصحة النظرية الهندية في « الغورو » وقيمته في تحقيق السمو الروحاني . ويخيّل اليَّ ان هناك قسطاً عظيماً من الحق في الحكمة القائلة بانّ المعرفة الحقيقية غير مستطاعة من غير « غورو » . فان معلماً غير كامل العدة في المسائل الدنيوية امر قد يحتمل وقد يتسامح فيه الانسان ، اما في المسائل الروحانية فالامر على خلاف ذلك . وان معلماً كاملاً في المسائل الروحانية ، بكل ما تحتمل صفة الكمال من المعاني ، هو دون غيره الذي يصح للانسان أن يتوّجه ملكاً على عرش القلب والوجدان . وعلى هذا يجب ان يستمر الانسان يكافح طوال حياته في سبيل بلوغ ذروة الكمال. لان كل انسان انما يصل الى « الغورو » الذي يستحقه . وكفاحنا في سبيل الكمال هو حق الانسان الطبيعي . والكمال يحمل في ثناياه ما ينتظر الانسان في الدنيا من ثواب . اما الباقي بعد ذلك فبين يدي الله . وعلى الرغم من اني ما استطعت أن اضع « ريشاند — باي » في موضع « الغورو » من قلبي ، فانه كان في كثير من الحالات مساعدي ومرشدي . ان ثلاثة من المحدثين استطاعوا أن يتركوا فيَّ اثرهم الثابت ويختلبوني اختلاباً . ريشاند — باي بعلاقته الشخصية، وتولوستوي بكتابه «ملكوت الله في نفسك»[2] ورسكن بكتابه «حتى هذه النهاية»[3]

عقد اخي عليَّ آمالاً كباراً . وكانت تحتكم فيه رغبة المال وبعد الصيت وذيوع الاسم وكان كبير القلب متجاوزاً عن الاخطاء ، وفوق ذلك سليم الفطرة ساذجها ، فالتفَّ حوله كثير من الاصدقاء الاوفياء ومن طريقهم حاول ان يزوّدني بالقضايا والمنازعات القضائية . وتخيّل اني عما قريب سوف احصل على قدر كافٍ من المرانة والتقدم في العمل ، وعلى هذا التقدير اسرف في نفقات البيت والمعيشة. ومضى يعمل بكل جد ليمهد لي سبيل العمل كمحام أمام المحاكم

كانت العاصفة التي اثارها زعماء طائفتي قبل سفري الى انجلترا لا تزال ثائرة ، حتى لقد

(١) حكيم روحاني . وهو ليس اسم شخص ، بل اسم يطلق على من يتصف بالحكمة الروحانية ويوجه غيره الى الرشد (٢) The Kingdom of God is Whitin You (٣) Unto This Last

انقسمت الطائفة قسمين ، حكمت احداهما قوةً لدى رجوعي الى الهند بدخولي مرة اخرى الى حظيرتها ، ومضت الاخرى مستمسكة بقرار فصلي الذي صدر قبل سفري . فمن اجل ان يرضي اخي الطائفة الاولى ، اخذني قبل سفري لراجكوت الى «ماسك» وغسلني في النهر المقدس ، ولما وصل الى راجكوت اعدّ وليمة طائفية لتكون بمثابة كفّارة عن ذنبي . ولقد كرهت كل هذا وزهدت فيه . ولكن حب اخي لي كان عظيماً ، ولم يكن تعلقي به يقلّ عن حبه لي . لهذا رضيت بأن اعمل كآلة تتحرك كما يريد ، معتبراً ان ارادته قانون عليّ الطاعة له . على أن هذا قد فضّ اشكال رجوعي الى الطائفة من طريق عملي عرف اخي كيف يسلك السبيل اليه

لم احاول مطلقاً أن أرجع الى الفريق الذي رفض ان اعود الى الطائفة . وكذلك لم اشعر بأي شعور من الحقد ازاء رؤسائها الذين كانوا سبباً في اخراجي من حظيرة الطائفة وحالوا دون رجوعي اليها . وفوق هذا ظللت احترم قرار الطائفة الذي صدر بفصلي وحرماني . فقد كان محرماً عليّ أن اتناول الطعام في بيت اقرب اقاربي حتى اختي وزوجها ، او ان اتناول شربة ماء في بيت واحد منهم . وكثيراً ما حاولوا ان يعدوا العدة ليخالفوا ذلك الامر سرّاً وعلى غفلة من رجال الطائفة . غير اني كنت ارفض دائماً ان اعمل في السر عملاً ، اخجل من ان آتيه جهراً

وكان سلوكي واستقامتي سببين في أن لا يحاول رجال الطائفة ازعاجي بصورة من الصور . بل على الضد من ذلك لم اشهد من كل أفراد الطائفة الا كل كرم وسخاء . وعلى الاخص من الفريق الذي ظل على رأيه في حرماني وطردي . وزادوا على ذلك انهم ساعدوني في عملي من غير أن يتوقعوا مني أية مساعدة أقوم بها من جانبي لصالح الطائفة : ولو انني حاولت ان اعود الى حظيرة الطائفة واخذت أدعو الى قبولي مرة اخرى ، او لو انني سعيت الى شق الطائفة الى شيع وفرق وان ازيد صدعها اتساعاً ، أو هاجمت رؤوس الطائفة وتحديتهم ، فما لا شك فيه انهم كانوا يناوئوني ويقابلون عملي بمثله . ولو أنني لم اعمل على تهدئة العاصفة ، لوجدت نفسي ، لدى وصولي الى الهند ، في لجة من الهيج الطائفي ، كانت بلا ريب تضطرني ان اصنع ما ليس في نفسي ، وأن انافق وان اتخذ الرياء قناعاً

أمّا علاقتي بزوجي فكانت منزال الى ذلك الحين على غير ما أرغب ان تكون . فان اقامتي في انجلترا لم تشفني من مرض الغيرة الآكلة . وظللت أبدي شكي في كل شيء مهما كان تافهاً . وبذلك ظلت كل شهواتي العزيزة عليّ غير مكتفية . وصممت على ان تتعلم زوجي القراءة والكتابة وان اساعدها في التعليم ، ولكن شهوتي وقفت في الطريق وكان عليها أن تحتمل على غير ارادة منها مسؤولية تقصيري وكسلي . وحدث مرة اني لطوحت في الغرق الى حد اني ارسلتها الى بيت أبيها ، ولم اقبل ان تعود الى بيتي الا بعد ان اذقتها التعاسة كيف يكون مذاقها ومرارتها . ولقد اقتنعت بعد ذلك بقليل ان هذا كله لم يكن مني الا حمقاً واسرافاً

اخذت افكر في اصلاح تعليم الاولاد . فقد كان لاخوتي أولاد ، وكان ابني الذي تركته قبل سفري الى انجلترا طفلاً قد شب وشارف على الرابعة من عمره . واتجهت رغبتي الى ان أعوّد هؤلاء الاولاد التعكوف على الرياضة الجسمية ليصبحوا اقوياء الابدان مشدودي الاعصاب قادرين على الاحتمال والصبر ، وان اتخذ من تجاربي الشخصية إماماً في تنشئتهم. ولقد شجعني على ذلك أخي ، ورجح نجاحي في هذا الشأن فشلي . على ان عشرة الاولاد كانت من مباهجي التي اسرُّ بها ، وما ازال حتى اليوم اتكشف على مادة اللعب مع الأولاد والتفكهة بهم ، ومنذ ذلك الحين بدأت أفكر في اني ربما اصلح لان اكون معلماً صالحاً للاولاد

وظهر لي ان الضرورة تدعو الى اصلاح طرق «التغذية» . وكان الشاي والقهوة كلاهما قد وجدا مكاناً في نظام المنزل . وعمل اخي على أن يكوّن جوًّا انجليزيًّا صرفاً في البيت استعداداً لقدومي . ولذا اخذت الآنية الخزفية تدخل في حيز الاستعمال بعد ان كانت تظل محفوظة للمناسبات . واكملت « اصلاحاتي » ما كان ينقص طريقة استعمال هذه الاشياء من نظام . واستبدلت الشاي والقهوة ، بعصيدة الشوفان والكاكاو . ولكنهما في الحقيقة اصبحا اضافيين على الشاي والقهوة . وكنا نعرف من قبل الاحذية والنعال ، واكملت اذا « التفريج » باستعمال الأردية الاوروبية

بدأت النفقات تزيد . وكنا نضيف كل يوم شيئاً جديداً . ولاجرم اننا نجحنا في زيادة النفقات اوكما يقول اهل الهند نجحنا في ان نربط فيلاً أبيضاً على بابنا ، ولكن كيف يمكن ان نسد نفقاته ؟ وكان البدء بالعمل في المحاماة يراجكوت معناه سخرية محققة النتيجة . ذلك لاني كنت فاقد الخبرة بكل ما يحتاج اليه «الوكيل»[1] من المعلومات والاجراءات ، وكنت اطلب عشرة اضعاف الأجر الذي يطلبه «الوكلاء» في الهند . فلم اسقط على صاحب قضية بلغ به الفرق ذلك المبلغ الذي يغويه على ان يوكلني في دعوى . وحتى لو فرض ووجد ذلك «الانسان» فهل يصح ان اضيف الى جهلي ما يحتمل ان ينتج طغيان التعب والاحتيال من نتائج تضاعف مقدار ديني ومسؤولياتي لهذه الدنيا ؟

ولصحني بعض الاصدقاء ان اهبط «بومباي» عسى ان احصل على بعض المرانة العملية امام المحكمة العليا ، ولأدرس القانون الهندي ولأحصل على ما يمكن ان احصل عليه من الفتاوى القضائية . فقبلت النصح وذهبت الى «بومباي» . وفيها استأجرت منزلاً ، وطباخاً لا يقلُّ جهله بالطهي عن جهلي به . وكان « برهماني » اسمهُ « رافيشنكر » . ولم اكن اعامله معاملة الخادم ، بل كأنهُ احد افراد المنزل . وكان يصب الماء على جسمي صبًّا ، ولكنهُ لا يستحم ابداً . وكانت ملابسهُ قذرة على الدوام ، كما كان على جهل مطبق بكل كتب الهند المقدسة. ولكن كيف يتسنى لي ان احصل على طاهٍ اليق منهُ ؟ كنت اسأله — يمكن ان تكون جاهلاً

(١) Vakil — اي المحامي الذي يتخرج من مدارس الحقوق في الهند

بالطهي ، ولكن الا يمكن ان تعرف شيئاً من عبادتك اليومية ؟ — « اعبادتي اليومية تذكر ياسيدي ! ان المحراث هو عبادتنا والفأس هي مراسمنا الدينية . انني انما اعيش اعتماداً على مراحك. فاذا فقدت الامل فيها فان الزراعة تكون ملجئي وظهيري»

هنا بدأت اكون معلماً للشؤن « راقيشنكر » ما يحتاج اليه من المعلومات الاولية . وبدأ الوقت يمر بي في بطء مسئم ، فأخذت اطهي نصف ضعاي . وأجري الطهي على الطريقة النباتية الانكليزية . فبليت موقداً وبدأت اقوم بخدمة المطبخ مع «راقيشنكر » . وكنت لا اشعر بحاجة الى غذاء بين الوجبات ، وعلى هذا جرى خادمي . ولم يبق لي من شكوى اوجهها اليه الا ادمانه القذارة ، حتى انهُ لم يكن يحفظ الطعام نظيفاً نظافة كافية

غير اني لم استطع المقام في «بورساي » اكثر من اربعة اشهر او خمسة لانهُ لم يكن لديَّ من الدخل ما يسد النفقات . وبعد ان يئست من ان احصل على عمل في « بورساي » غادرتها الى راجكوت ، وعدت الى مكتبي الاول . وهناك بدأت اعمل عملاً معتدل القيمة ، وبلغ متوسط دخلي ثلاثمائة روبية كل شهر . ولكن هذا لم يكن راجعاً الى مهارتي بل الى تأثير اخي. فان شريكه كان ذا خبرة بالاعمال، فكان يعهد اليَّ بالبسائط ويعهد بالمشكلات الى كبار المحامين

وأرى انهُ من الواجب عليَّ ان اعترف انني بدأت في ذلك الوقت افكر في ضرورة اعادة النظر في مبدئي الذي جريت عليهِ من الامتناع عن دفع عمولة (سمسرة) . فقد أثبتت ان الحالة هنا على الضد مما اعهد . والعمولة تدفع في « بورساي » للسماسرة ، ولكنها في راجكوت تدفع الى الوكلاء الذين يمرنون المحامي بالقضايا . أما القاعدة هنا فكما هي في بورساي ان يدفع كل المحامين ومن غير استثناء ، نصيباً مئويًّا من اتعابهم سمسرة . اما كلام اخي في هذا الموضوع فكان مقنعاً . قال لي : « ترى انني شريك مع وكيل آخر . واني اميل دائماً ان نعهد اليك بكل القضايا التي نعرف انهُ في مقدورك مباشرتها ، فاذا رفضت ان تدفع عمولة لشريكي ، فمن المحقق انك تضعني في مركز حرج . ولما كنا نشترك معاً في معيشة واحدة فان اتعابك تعد دخلاً مشتركاً لكلينا، وينالني من ذلك نصيب . ولكن ما يكون امر شريكنا ؟ افرض مثلاً انهُ عهد بقضية بين يديهِ الى محامٍ آخر ، فانهُ ينال منهُ عمولة » ولقد اقتنعت بهذا الكلام، وشعرت بأني اذا اردت ان اعمل كمحام ، وجب عليَّ ان اضحي بمبدئي في دفع العمولة ، وفي مثل الحالات التي ذكرها اخي على الاقل . هذا ما ساورني وتردد في نفسي ، او بكلام نوضح ، بهذا خدعت نفسي وغششتها . ولا مندوحة لي عن ان اضيف الى هذا انني لا اذكر اني دفعت عمولة ما في حالة غير هذه الحالات التي جرى عليها كلام اخي . وعلى الرغم من انني جاهدت في سبيل ان اوفق بين المتقاضين ارضاءً لسر مهنتي، فقد صدمت في ذلك الحين اول صدمة عنيفة في حياتي . ولقد سمعت كثيراً من قبل ما يعنى الهنود بضابط انكليزي ،

ولكني لم اكن قد وقفت امام ضابط انكليزي وجهاً لوجه حتى ذلك الحين

كان اخي سكرتيراً ومستشاراً للمرحوم «رانا بوربندر» وقد عُدِّقت في عنقه من بعد ذلك تهمة انه اشار بنصيحة فاسدة لما كان يشغل ذلك المنصب. ووضعت المسألة بين يدي القومسير السياسي ، وكان في صدره من اخي حقيقة . وكنت اعرف ذلك الضابط لما كنت في انكلترا. ومما يمكن ان اصرح به انهُ كان على صداقة معي . وظن اخي انهُ من المستحسن ان الجأ الى هذه الصداقة ، لألقي بكلمة طيبة عند الضابط تشفع لاخي بعض الشيء . وظن اخي انهُ في استطاعتي ان اوضح حقيقة الامر للضابط لعلَّ ذلك يخفف من حنيظته نحوه . غير اني لم اوافق مطلقاً على هذه الفكرة ، لأني لم ارد ان اجعل لصداقة شبت مصادفة في انكلترا مدخلاً في مثل هذه الامور . فاذا كان اخي حقيقة قد اخطأ ، ، فأي شيء يفيد تدخلي او توصيتي ؟ واذا كان بريئاً ، فما عليهِ الاَّ ان يكتب عريضة يشرح فيها حقيقة الامر وينتظر النتيجة . غير ان اخي لم ترقه هذه النصيحة . وقال لي « انك لا تعرف « كاثياوار » وعليك فوق ذلك ان تعرف الدنيا . فليس لشيءٍ قيمة هنا الاَّ الوسائط . ولا يخلق بك وانت اخي ان تمتنع عن القيام بالواجب ؛ وانت قادر على ان تفوه بكلمة طيبة عني لضابط انت على صلة به »

ولقد اصبح من المستحيل عليَّ بعد ذلك ان ارفض رأيه ، فذهبت الى الضابط على غير ارادتي وعلى كره مني . وكنت عارفاً انهُ لا يحق لي ان الاقيه ، ومتحققاً فوق ذلك اني كنت على وشك تعريض احترامي الشخصي للامتهان. ولكني على الرغم من هذا ضربت موعداً وذهبت. وما كدت اذكره بصلتنا في انكلترا ، حتى ابان لي سريعاً ان « كاثياوار » غير انكلترا ، وان ضابطاً بريطانيًّا في اجازته ، غيره وهو قائم بمهام منصبه. ولقد ذكرت الضابط بتلك الصلة التي كانت بيننا ، غير ان تذكيره بها قد جاوز بهِ الى الخشونة . اما خشونته هذه فكان معناها « انك لم تأت الى هنا اليوم الاَّ لتنتهك هذه الصلة باستغلالها » غير اني رغم ما ادركت من الموقف ، شرحت شكاتي . وهنا عيل صبره ، وقال محتدًّا — « ان اخاك دساس ، واني لا اريد ان اسمع منك شيئاً فوق ما سمعت . ليس عندي وقت . واذا كان عند اخيك ما يقوله فما عليه الاَّ ان يلجأ الى المراجع المختصة» . وربما كنت استحق هذا الجواب الحاد . غير ان حب الذات اعمى ، فعمدت بعد كل هذا الى روايتي انتها . وهنا وقف الصاحب وقال لي «يجب ان تذهب الآن» . « ولكن ارجوك ان تسمع مني» . فلم يزده كلامي هذا الاَّ غضباً . فنادى خادمه وامره ان يدلني على طريق الباب . وكنت لا ازال متردداً عندما اقبل الخادم ، ووضع يديه فوق كتفيَّ ودفعني خارج الباب

وما كدت استقرُّ في مكاني حتى كتبت مذكرة معناها « انك اهنتني ، وتهجمت عليَّ من طريق خادمك . فاذا لم تقم بما يصلح هذا الامر ، اضطررت أن ارفع امري الى القضاء »

ولكن سرعان ما تلقيت منه الجواب على يد حاجبه وقد جاء فيه

« لقد كنت بذيئاً معي . فقد امرتك بالذهاب وانت امتنعت . فلم يكن لي من بد ازاء امتناعك من ان آمر خادمي بأن يريك طريق الباب . ولقد سألتك ان تترك مكتبي لم ترد ان تفعل ذلك . فما كان لديه من وسيلة اخرى الا ان يستعمل معك من القوة قدراً يكفي لاخراجك . وانك حر في أن ترفع الأمر الى اية جهة أردت »

عدت الى المنزل ، وفي جيبي هذا الرد ، ذليلاً خافض الرأس ؛ وقصصت على أخي كل ما حصل ، فحزن . ولكنهُ لم يكن يدري طريقاً يسليني به عما حدث . وكثيراً ما تحدث عن هذا الأمر الى اصدقائه من الوكلاء ، لاني لم اكن اعرف الطريق الرسمي لمقاضاة الصاحب ، وحدث ان السر «فيروزشاه مهتا» كان في «راجكوت» في ذلك الوقت ، وقد قدم من بومباي لمباشرة قضية ما . ولكن كيف السبيل لمحام صغير حديث العهد بالمهنة ان يقابله ويحظى بلقياه؟ ولكني ارسلت اليه اوراق قضيتي عن طريق الوكيل الذي دعاه الى راجكوت وسألته الرأي في الموضوع . فقال للوكيل « أفهم غاندي ان مثل هذه الأشياء امر عادي هنا . أنهُ هبط من انجلترا قريباً ولا يزال دمه حامياً . وانه لا يعرف انضباط الانجليز . فاذا كان يريح من مهنته شيئاً هنا ، واذا كان الزمان يؤاتيه بالحاجات ، فقل له ان الاولى به ان يمزق مذكرته وأن يبلع الاهانة . فانهُ لن يربح شيئاً من مقاضاة الصاحب ، بل على الضد من ذلك تماماً يرجح كثيراً ان يكون في ذلك هدم مستقبله . وعليك ان تعرفه عني ان عليه ان يعرف عن الدنيا اكثر مما عرف حتى الآن »

كان لهذه النصيحة مرارة السم في فمي ، ولكن لم يكن لي مندوحة عن أن أبتلعها ، كما ابتلعت الاهانة ، ولكني على كل حال انتفعت بها إذ حاهدت نفسي على « ان لا أضعها في مثل هذا الموضع الدقيق مرة اخرى ، وان لا احاول ان استغل الصداقة هذا الاستغلال ثانية ». ومنذ ذلك الوقت لم ارتكب جريمة الحث بعهدي والرجوع عن تعييني هذا . غير ان هذه الصدمة الاليمة غيرت مجرى حياتي تغييراً كليًّا . ولا شبهة مطلقاً في اني كنت مخطئاً اذ اقدمت على الذهاب الى القومسير السياسي . غير أنَّ حنقه وقلة صبره وغضبه ، جميعها كانت لا تتناسب مع خطئي . ولم يكن في الأمر ما يوجب طردي . لاني كنت سوف لا استغرق من وقته أكثر من خمس دقائق . ولكن الواقع انهُ لم يستطع ان يحتمل ان يسمع مني كلاماً في الموضوع . وكان في مستطاعه ان يطلب مني في أدب ان اذهب . ولكن القوة الغاشمة اسكرته الى درجة غير كفيلة بالاتزان . ولقد علمت فيما بعد ان الصبر أبعد الاشياء عن فضائله

اما اذا عزمت على ان اتأول مهنتي في ذلك المكان فلا شك فيه ان اكثر قضاياي سوف تنظر امام محاكمه . وكان مما يخرج عن طوقي أن اتوصل الى ترضيته والتفاهم معهُ . كما اني

لم اكن على استعداد لأن اتزلف اليهِ . ولما كنت قد هددت بان اقاضيهُ ، سعب عليَّ ان اظل ساكتاً . غير اني سرعان ما بدأت افهم شيئاً من سياسة هذه المقاطعة . فان « كاثياوار » ليست الا كتلة مكوَّنة من ولايات صغيرة . وكانت الدسائس بين الولايات ، والمؤامرات بين الضباط ليرقي كل منهم درجات القوة والسلطان الواسع ، القاعدة العامة في النظام الحكومي . وكان الامراء تحت رحمة غيرهم . ولم يكن في وسعهم الا أن يلقوا بسمعهم الى المتزلفين . ولقد شعرت بان هذا الجوَّ مشبع بالسموم ، وكيف أبقى بعيداً عن التأثر بهِ ؟ كانت هذه مشكلة بذاتها. وما لبثت غير قليل حتى شعرت بانني مكتئبٌ خائر النفس ولحظ اخي فيَّ هذا الامر . وشعر كلانا بانني اذا استطعت ان اجد عملاً بعيداً عن هذا المكان ، استطعت ان افلت من جو الدسائس والوشايات . ومن غير ان الجأ الى وسائل غير شريفة ، لم يكن في وسعي ان اشغل منصباً اداريًّا او قضائيًّا . ناهيك بمشكلتي مع القومسير السياسي

كانت « بورباندر » اذ ذاك تحت الادارة الحكومية ، وكنت هبطتها لاسعى في ان انال للامير حقوقاً اوسع من الحقوق التي يتمتع بها . وكذلك كنت ارغب في أن أرى المدير لاناقشهُ في مسألة اجور الاراضي وارتفاع القيمة التي تجبى من المستأجرين غير اني وجدت ان هذا الضابط المدير ، ولو انهُ هندي ، اشنع من الصاحب اخلاقاً وأشد زرقاً . ولقد فشلت في هذا الامر فشلاً عظيماً ، حتى لقد خيَّل اليَّ ان العدل يمنع عن زبائني عمداً وبذلك اعجز عن ان اصل اليهِ . وكل ما كان في مستطاعي ان اعملهُ لا يتعدى ان اعرض امري امام القومسير السياسي او الحاكم الذي لم يكن من شأنهِ الا أن يرفض النظر في شكواي قائلاً — « ليس من شأننا ان نتدخل في الامر » . اما اذا كان هنالك قانون أو نظام يحدد مثل هذه القرارات ، فلا شك في ان يكون لنا شأن . ولكن ماذا يكون العمل ما دامت ارادة الصاحب هي القانون ؟ غير اني شعرت في النهاية انني ساخط مغيظ ورغبت كل الرغبة في ان ابعد عن جو الدسائس جهد ما استطيع

في هذا الموقف كتبت احدى المؤسسات التجارية في « بورباندر » الى أخي تعرض عليهِ الآتي :

« لنا اعمال في جنوب افريقية . ومؤسسة من اكبر المؤسسات . وقد اشتبكنا في قضية امام المحكمة تبلغ قيمتها اربعين الفاً من الجنيهات الانجليزية . ومضى على الدعوى زمن طويل وما تزال منظورة ، واستخدمنا فيها امهر الوكلاء واشهر المحامين . فاذا سمحت بان ترسل اخاك الى جنوب افريقية فانه سوف يفيدنا ويفيد نفسه . ولسوف يستطيع ، على ما نرى ، ان يزودنا بنصائح ثمينة ، فضلاً عن انه سيرى بلاداً جديدة وينشىء علاقات مع اشخاص لم يكن يعرفهم » .

وبعد مناقشة قبلت العرض من غير اية مساومة واخذت استعد للذهاب الى جنوب افريقية

اسماعيل مظهر

غرائب المقاييس الطبيعية

التفاوت بين المتناهي في الكبر والمتناهي في الصغر

في الطول والوزن والزمن والسرعة والحرارة

اخذ رجال العلم ينفذون من ناحية الى اقصى رحاب الكون ومن ناحية اخرى الى اسرار الكون الصغير الكائن في قلب الذرّة . وهم في خلال ذلك يقيسون الكميّات والمقادير ، لان القياس الدقيق اساس العلم . وفي هذه الكميّات تفاوت كبير . فالمسافات تقاس من جهة بسني الضوء ومن جهة اخرى بالانغستروم Angstrom وهو جزء من عشرة ملايين جزء من المتر . والسرعة تقاس من صوب بثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية وهي سرعة الضوء ومن الصوب الآخر بجزء من المتر في اليوم وهو سرعة انتشار ذرات الذهب في لوح من الرصاص . كذلك يقاس الوزن بالطن والجمّا (الجمّا جزء من مائة مليون جزء من الغرام) والزمن بالسنة والسغما (السغما جزء من مائة جزء من الثانية) وهكذا

مقاييس الطول

من الغرائب التي تسترعي النظر ان الانسان متوسط بين اضخم الاجسام واصغرها . فهو جزء من ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من المجرة وهو ١٠٠٠٠٠٠٠،٠٠٠٠٠٠٠٠،٠٠٠٠٠٠٠ ضعف البروتون الذي في نواة الذرّة . ولكن ليس من الثابت ان المجرّة اضخم الاجسام في الطبيعة ولا ان البروتون اصغرها . والباحثون في الناحيتين ماضون في بحثهم رغماً عن الحوائل والصعاب التي تقوم في سبيلهم .

واذا فرضنا ان المسافة بين القاهرة ولندن تبلغ ٤٢٠٠ كيلو متر في خط مستقيم فقطر الارض يبلغ ثلاثة اضعافها ، ومحيطها يبلغ تسعة اضعافها . ثم انا اذا طرنا ٨٧ مرة بين القاهرة ولندن قطعنا مسافة تقرب من المسافة التي تفصل القمر عن الارض . اما قطر القمر فيبلغ ٣٥٧٠ كيلو متراً وهي المسافة بين القاهرة ومرسيليا في خط مستقيم . على ان قطر الشمس اعظم من ذلك كثيراً . فهو ١٣٨٤ ٠٠٠ كيلومتر . ومتى حاولنا ان نقيس بعد الشمس عن الارض او بعد ابعد السيارات عنها ، احتجنا الى ملايين الكيلومترات ، واصبح التمثيل بالمسافات على سطح الارض لا يجدي . فنبتون يبعد عن الشمس اربعة آلاف واربعمائة مليون (٤٤٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) كيلو متر والارض تبعد عنها ١٤٩،٠٠٠،٠٠٠ كيلو متر . ويقدّر طول قطر المجموعة الشمسية بعشرة آلاف مليون كيلومتر (١٠،٠٠٠،٠٠٠ ٠٠٠) . فاذا خرجنا

من المجموعة الشمسية الى وحاب المجرّة اصبحت ملايين الكيلو مترات لا تفي بحاجة القياس . لذلك استنبط الفلكيون ما يدعى بالسنة الضوئية وهي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل (او ٣٠٠ الف كيلو متر) في الثانية الواحدة . على هذا القياس تبعد الشعرى Sirius — وهي اقرب النجوم اللامعة الى شمسنا — عن الشمس نحو تسع سنوات ضوئية ويبعد سديم المرأة المسلسلة Andromeda وهو من السدم اللولبية الخارجية — وتعرف بالعوالم الجزرية — عن مجرتنا ٩٠٠٠٠٠٠ سنة ضوئية ويقدّر بعد ابعد السدم اللولبية بمائة واربعين مليون سنة ضوئية . ويقدّر محيط كون اينشتين بالفي مليون سنة ضوئية

هذا التفتنا الى الناحية المقابلة وجدنا الدقائق المكرسكوبية تتراوح الخلايا نوى الخلايا وكروموسوماتها وهي في الغالب مما يرى بالمكرسكوبات القوية . وعند النطقة الفاصلة بين ما يرى وبين ما لا يرى نجد الدقائق الفيروية وهي مجاميع من الجزيئات ومن ورائها الذرّات والكهارب والبروتونات

جدول مقاييس الطول

محيط كون اينشتين	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	سنة ضوئية
ابعد سديم لولبي	١٤٠٠٠٠٠٠٠٠	» »
متوسط بعد مجرة عن اخرى	١٤٨٠٠٠٠٠٠	» »
بعد سديم المرأة المسلسلة عن المجرة	٩٠٠٠٠٠٠	» »
قطر المجرة	٥٠٠٠٠٠	» »
بعد الشعرى عن الارض	٨٫٩	» »
السنة الضوئية تبلغ	٩٤٦٣٧٠٠٠٠٠٠٠٠	كيلومتر
قطر المجموعة الشمسية	١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	»
بعد نبتون عن الشمس	٤٤٠٠٠٠٠٠٠٠	»
بعد الارض عن الشمس	١٤٩٥٠٠٠٠٠٠	»
قطر الشمس	١٣٨٤٠٠٠٠	»
بعد القمر عن الارض	٣٨٤٠٠٠٠	»
قطر المشتري	١٤٤٠٠٠٠	»
محيط الارض	٤٠٠٧٠	كيلومتراً
قطر الارض	١٢٧٥٤	»
قطر القمر	٣٤٨٠	»
طول الباخرة اوربا	٢٨٥	متراً
اطول امواج الصوت	١٦	متراً
متوسط طول الانسان	١٧٢	سنتمتراً

اقصر امواج الصوت	١٧	ملمتراً
الملتر يعدل	الف	ميكرون
اصغر الدقائق التي تُرى	٥٠	ميكروناً
خلايا ذباب الدروسوفيلا	٧—٢٥	»
نواة خلية الدروسوفيلا	٥—١٥	»
كروموسومات الدروسوفيلا	٢٫٤—٣	ميكرونات
بكتيريا عنقودية	ميكرونان	
المليكرون يعدل الف ملميكرون Millimicron		
خلية الدم الحمراء	٨٠٠	ملميكرون
موجة النور الاحمر	٧٧٠	مليكروناً
اصغر الدقائق المكرسكوبية	٣٠٠	مليكرون
دقيقة غروية كبيرة	١٠٠	»
اقصر امواج اشعة وراء البنفسجي	١٣	مليكروناً
الجزيئات Molecules	٢٫٤—٥	مليكرونات
المليكرون يعدل الف ميكروميكرون		
المسافة بين ذرات الكبريت	٩٠٠	ميكروميكرون
الذرات	١٠٠—٦٠٠	»
المسافة بين ذرات الفضة	٤٠٠	»
موجة اشعة اكس اللطيفة	١٣٦	ميكروميكروناً
مدار الالكترون في ذرة الايدروجين ٥٣		»
موجة اشعة اكس القاسية (الى فقد لتدة قصرها) ١٩		»
اقصر اشعة غير	ميكروميكرونان	
اطول الاشعة الكونية	٠٫٦	الميكروميكرون
اقصر الاشعة الكونية	٠٫٠٤	»
قطر الالكترون	٠٫٠٣٨	»
نواة ذرة الذهب	٠٫٠٠٠٤	»
نواة ذرة الايدروجين (وهي بروتون واحد) ٠٫٠٠٠٢		»

وقد اطلق الانغستروم على مسافة طولها ١٠٠ ميكروميكرون وعليه يقال ان حجم الذرات يتراوح بين الغستروم واحد وستة الغسترومات

مقاييس الوزن

لعلَّ اكبر رقم في عالم المقاييس هو الرقم الدالّ على كتلة الكون بحسب مذهب اينشتين فهو رقم ٨ يتبعهُ ثمانية وسبعون صفراً . فكتلة النجوم والاجرام والسدم والغبار الكوني المنثور في المجرّة — التي منها مجموعتنا الشمسية — تكاد تكون شيئاً يسيراً ازاء كتلة كون اينشتين لانها لا تزيد على رقم ٢٣ يتبعهُ خمسة وخمسون صفراً فقط ! فاذا مثَّلنا على المجرّة بتفاحة وجب ان نجعل الكون على اتساعه نفسها كرة بقدر الارض . ومن الغريب ان نجوم المجرة تتماثل كتلةً (وزناً) مع انها تختلف حجماً . وكتلتها تتباين بين رقم ١ وراءه ٣٢ صفراً ورقم ١ وراءهُ ٢٦ صفراً . اما الشمس — وكتلتها تفوق كتلة الارض نحو ٣٣٢ الف مرّة — فمن النجوم الصغيرة . واكبر السيارات في المجموعة الشمسية هو المشتري وكتلتهُ تفوق كتلة الارض ٣١٧ مرّة . اما القمر — قمر الارض لان لاكثر السيارات الاخرى اقماراً — فلا تزيد كتلتهُ على جزء من ٨١ جزءاً من كتلة الارض فاذا هبطنا من القلك الى الارض وجدنا ان وزن غلاف الارض المائي — اي المحيط الصغير وهو يشمل مياه المحيطات والبحار والبحيرات والانهر والثلج والجمد — يبلغ ١٫٣٣٥٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون طن فهو $\frac{1}{4000}$ من كتلة الارض و٥٠٠ ضعف وزن الغلاف الهوائي . ولا تحتقرنَّ وزن الغلاف الهوائي فهو ٥٫١٣٣٫٠٠٠٫٠٠٠ مليون طن ووزنهُ يفوق وزن اكبر النجيمات خمسة اضعاف . ومقدار ما يسقط على الارض من الرجم كلَّ سنة يبلغ وزنه وزن الباخرة برمن تقريباً . اي نحو ٥١ الف طن . اما بين وزن السفينة برمن ووزن الانسان فنستطيع ان نمدَّ انفاقاً ما شئنا ان نمدَّها

واذا تحوَّلنا الى المقادير الدقيقة وجدنا ان الجرعة الفعالة من قيتامين (د) تبلغ ثلاثة اجزاء من الف مليون جزء من الغرام . وهذا المقدار من المغنيزيوم هو اقل مقدار منهُ يمكن كشفهُ بالوسائل الكيائية . ولكن مقداراً من الصوديوم اقل من ذلك يمكن تبينهُ بكاشف اللهيب flame test ثم هنالك السبكترسكوب وهو ادق الآلات في الكشف عن مقادير ضئيلة جداً من المواد والعناصر . ويقال ان الطريقة الجديدة المعروفة بالمغناطيسية البصرية Magneto-optic التي استنبطها أليسن Allison الاميركي وكشف بها عن آخر العناصر تفوق حتى السبكترسكوب من هذا القبيل . ويلي ذلك الجزيئات والدقائق الغروية . فجزيئات البروتينات هي اكبر الجزيئات . اما جزيئات السكر فصغيرة اذا قيست بجزيئات البروتينات والادهان . ومع ذلك فهي اثقل كثيراً من ذرات الاورانيوم وهو اثقل العناصر . اما ذرة الايدروجين فهي اخف الذرات ووزنها مجموع وزن بروتون والكترون . والبروتون يفوق الالكترون وزناً نحو ١٨٠٠ مرة . فالالكترون هو اخف ما عرفهُ العلم حتى الآن

جدول مقاييس الوزن

كون اينشتين	٨	ويليه	٧٨ صفراً	غرام
المجرة	٢٠٣	ويليه	٥٥ صفراً	»
النجوم الكبيرة	١	ويليه	٣٦ صفراً	»
الشمس	١،٩٩	ويليه	٣٣ صفراً (وكتلتها تعدل ٣٣١٩٥٠ مرة كتلة الارض)	
نجم صغير	١	ويليه	٣٢ صفراً	غرام

المشتري (تعدل كتلتهُ ٣١٧ مرة كتلة الارض)

الارض	٥،٩٩	ويليه	٢٦ صفراً	غرام
عطارد	١/٢٥	من كتلة الارض		
القمر	١/٨١،٥٦	من كتلة الارض		

الغلاف المائي ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،١٤٣٣٥ مليون طن = ١،٤٣ يليهِ ٢٤ صفراً بالغرامات

الغلاف الهوائي ٥،٦٣٣٣،٠٠٠،٠٠٠ مليون طن = ٥،٦ يليهِ ٢١ صفراً بالغرامات

متوسط كتلة النجيمة ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ مليون طن = ١ يليهِ ٢١ صفراً بالغرامات

وزن السفينة برمن ٥١،٦٥٦ طناً = ٥،٢ يليهِ عشرة اصفار بالغرامات

الرجم التي تسقط سنوياً ٤٠،٠٠٠ طن = ٤ يليهِ عشرة اصفار بالغرامات

متوسط وزن الانسان ٧٦ كيلو غراماً

الكيلو غرام = ١٠٠٠ غرام

الغرام = ١٠٠٠ ملغرام

الملغرام = ١٠٠٠ ميكروغرام

الميكروغرام = ١٠٠٠ جمّا

الجما = $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$ من الغرام

الجرعة الفعالة من فيتامين (A) ٣ جمّات اي $\frac{٣}{١٠٠٠٠٠٠٠٠٠}$ من الغرام

اقل ما يمكن كشفه من المغنيزيوم بكاشف كيماوي جمّان

اقل ما يمكن كشفه من الصوديوم بكاشف اللهب ٠٠٧ من الجمّا

جزيء بروتين يعدل ١٠٠٠٠٠ ذرة الايدروجين

جزيء سكر القصب ٣٤٢ »

ذرة الاورانيوم ٢٣٨ »

جزيء الماء ١٨ »

ذرة الايدروجين ١ الالكترون ١/١٨٤٥ من ذرة الايدروجين

[في العدد المقبل يتناول البحث مقاييس الزمن والسرعة والحرارة وجداولها]

الى المُعام والتحقيق انه اعمّ من ذلك وهو في الأصل «الجمع» مطلقاً ، ففي الأساس «وأدبهم على الأمر : جمعهم عليه ، يأدبهم ، يقال : إيدب حيرانك لتشاورهم قال :

وكيف قتالي معشراً يأدبونكم على الحق ان لاتأشبوه بباطل

وتقول : أدبهم عليه ونديهم اليه [1] » وذكر صديقي العلامة الأب انستاس ماري الكرملي ان « الأدب صفة الأديب الوارد في اللغة اليونانية بنفس اللفظ والمعنى ، فمن معاني الأديب عندهم : الحسن الغناء التنيذ المحادثة والمنادمة والمجالسة المثير لهوى جلسائه بانغامه الشاجية وحديثه الرقيق » وهو رأي له وجاهة وللنفوس فيه هوى لتداخل اللغتين العربية واليونانية في كثير من الكلم وانا على اشراني لهذا الرأي الحكيم وددت ان ابدي رأيي

في سلتية الادب

إني لأرتئي ان اصل الأدب هو «الهذب» بفتح الذال ومعناه الصفاء والخلوص من العيوب اية كانت ، واصل الهذب « بفتح العين ، يقال «هذب الشجر : قطع منه ونقاه واصلحه ، ومثله « هذب الشيء قطعه » وقد قدمنا كيف انقلبت الذال دالاً اوجرى العكس وانك لتجد في العربية «المهذب والمؤدب بمعنى واحد» فالأصل من تهذيب الشجر ، وذكر المرحوم احمد فارس الشدياق في كلامه على ان اكثر افعال العربية تفيد القطع مانصه «ويجيء للتهذيب نحو هذّب وشذّب ، على تقدير انهُ قطع عن الشيء كل مايشينه [2] » اما رجع هذه الكلمة إلى المحسوسات دون المعنويات فقد قال هو عنهُ ماهذه صورته «إن اهل اللغة جميعاً قد اجمعوا على ان المهذب للرجل الكامل مأخوذ من تهذيب الشجرة ، بناء على ان الأمور المعنوية او العقلية مأخوذة من الأشياء الحسيّة وذلك موجود في جميع اللغات ، ضرورة ان الحواس الظاهرة هي التي تبعث الحواس الباطنة على التفكير والتخيل فان من لم ير الأسد مثلاً قط ولم يسمع به ، لم يخطر على باله ان يشبه به رجلاً شجاعاً ، وهذا كما يحكى عن ابن المعتز ـ رح ـ من انه كان ينظر الى آنية بيته ويشبه بها ، وتقرير ذلك ان العقل مأخوذ من عقلت البعير ومثله لفظة الحجر اشتقاقاً ومعنىً» وهذا من الحقائق والمؤكدات ، ومثل «هذب» هدم وهذم وجذم وجرم وجزم وصرم وقرم وهجم وقضم وهضم وكظم وقطم وخطم وكرم وكثم وكشم وقثم وحطم وهشم وهصم (كلها بمعنى هذب ومن اصلها) وصنوه المهموز نحو «هذأه وجزأه وهرأه» وأصلها بحسب نشوء اللغة « المضعّف » مثل «هدّه وهدّه وحته وجدّه وجذّه وقدّه وقطّه وحدّه وخدّه وخطّه وهتّه وهسّه وهشّه وهضّه وحكّه وهكّه» وانما سردنا هذه الأمثال لتظهر سعة الابدال في العربية فيكون المستبعد معروفاً والمستغرب مألوفاً

أما قلب «الهاء» في «هذب» همزة فمن الطرائف المتعالة المتعارفة في العربية ، قال عثمان

(١ الاساس «١ : ٧٠» (٢) سر القيال في القلب والابدال ص١١ قلت ومنها «الحجى» من حجا أي منع «والنهى» من «نهاه»

كيف نفهم التطور

للاستاذ السر ارثر كيث(١)

يصعب ان نحدد كلمة « تطور » الواسعة المعنى تحديداً ينطبق على مفهومها العلمي تمام الانطباق فانها قد تعني عملية «تحول» او «صيرورة» (Becoming) ولكننا اذا اطلقناها اجمالاً على ما نسميه بالتطور العضوي عنينا بها ان جميع مايحيط بنا من نباتات وحيوانات قد نشأت بفعل تحوُّل طبيعي مستمر من اسلاف ابسط في التركيب واعم في الصفات . وعلى هذا الاساس فهي تعني ان الحاضر هو ظل الماضي وابو المستقبل ، وقد كان لهذه الكلمة شأن كبير في وصفها الطريق الذي سارت عليه جميع الكائنات الحية في نشوئها حتى اصبحت كما هي في حالتها الحاضرة . وقد اتفق علماء البيولوجيا ان يطلقوا كلمة «نشوء» (Development) على ماسماه العلامة هارفي (Harvey) «تكون الفرخ من البيضة» ؛ وكلمة «تطور» (Evolution) على عملية تسلسل نسل الطيور من سلف يمتُّ الى الزحافات المنقرضة لايعرف عنه الا القليل او على تسلسل الطيول الحديثة ذوات الحافر الواحد في كل من قوائمها من جد اصلي ذي ثلاثة و اربعة حوافر ناشئة في كل قائمة ، كان يطأ بها الارض

على ان فكرة التطور وحدها لا تصل الى اي نظرية خاصة تفسر لنا العوامل التي تعاونت على تحقيق ذلك التحول التدريجي من شكل الى آخر . حتى ان المؤمنين بنظرية التطور انفسهم لايميلون الى قبول النظريات على علاتها كنظريتي «لا مارك» (Lamarck) و «داروين» في تفسير حدوث التحولات الطبيعة . فلو سأل شخص في اثناء المحادثات الاعتيادية هذا السؤال ، «هل تسلّم بالنظرية الداروينية ؟» ويكون القصد من ذلك السؤال « هل انت من المؤمنين بالتطور ؟ » لاشك انه سيجيب «نعم !» لان جميع بيولوجي العصر الحاضر يؤمنون بالتطور كحقيقة ثابتة . ولكن اذا وجه السؤال نفسه الى طائفة من علماء البيولوجيا فيقصد منه عندئذ «هل انت مقتنع بكفاية نظرية داروين لتفسير جميع التنوعات التي كونتها الطبيعة ؟» وهنا تختلف الاجوبة فيجيب البعض «نعم» والبعض الآخر «لا» وغيرهم « الى حد ما »

﴿الصورة التي رسمها لوقريطس﴾ لايوجد في الوقت الحاضر سوى صورة علمية واحدة تبين طريقة نشوء الكائنات الحية وبلوغها الحالة التي هي عليها الآن — وهي الصورة التطورية

---

(١) وردت الانباء الرقيقة بوفاة الاستاذ السر جون ارثر كيث العالم البيولوجي الانكليزي قرأينا نشر هذه المقالة من آثاره الرائعة وقد عثنا الى العربية بتعريبها الدكتور الياس اللوسي احد اعضاء الجمعية بالعراق

للقياس، فانّ تعدية السلب بالتضعيف وهمز الأوّل متعارفة في كلام العرب كما قدمنا

ثم قالوا «هذّب الشجرة» بمعنى هذّبها ثم استعاروه للانسان فقالوا «هذّب فلاناً» بمعنى قطع من طباعه وأخلاقه كل شائن له، وفي مثل هذا قال النابغة

ولست بمستبق أخاً لاتلمّه على شعث أي الرجال المهذّب ؟

ثم بنوا له فعلاً من أفعال الغرائز والتغيّر إما على وزن «فعِل يفعَل» كفرح يفرح فرحاً وامّا على «فعَل يفعُل» كشرف يشرف شرفاً، ولم ينقل لنا اللغويّون إلاّ مصدره «المَهْذَب» بالتحريك، فهو مثل اشتقاقهم من «بلغ» أي وصل «بلُغ بلاغة» صار بليغاً ومن «أفصح اللبن: ذهبت رغوته» فصُح فلان صار فصيحاً ومن شرف المكان بكسر الراء «شرُف فلان» أي علا شأنه ومن «مجدت الابل» بفتح الجيم «مَجدُ فلان فهو مجيد» ويجوز أنهم كانوا يستعملون لـ «هذّب» الباب الرابع والخامس من الثلاثي المجرّد كقولهم «حمق وحمُق» و«ذئِب وذؤب» و«كدِر وكدُر» و«أنِس وأنُس» و«بخِل وبخُل» و«حرِمت الصلاة وحرُمت» و«سري وسرو» وسخي وسخو» و«عجِف وعجُف» و«سمِر وسمُر» للأسمر و«خرِق وخرُق» و«سفِه وسفُه» ومن ثم قالوا «أدُب فلان فهو أديب» دلالاً من «هذّب»

أجاهلي لفظ الادب ؟

قال الدكتور طه حسين في ص ١٩ من كتاب الأدب الجاهلي «ولكن الشيء الذي لاشك فيه هو أنا لانعرف نصّاً عربيّاً جاهليّاً صحيحاً ورد فيه لفظ الأدب، والشيء الذي لاشك فيه أيضاً أنا لانعرف أن لفظ الأدب قد ورد في القرآن، وكل مانعرفه هو أن هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على أن النبي قد استعمل هذه المادة، وهذا الحديث هو قوله — ص — : أدبني ربي فأحسن تأديبي، هذا الحديث لايثبت حكماً لغويّاً إلاّ إذا ثبت ثبوتاً لايقبل الشك او كان من الراجح على اقل تقدير أنهُ صح بلفظه عن النبي، ولكنا بعيدون عن هذا كله، فنستطيع اذن أن نقول من غير تردّد أن ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت أن لفظ الادب وما يتصرف منهُ من الافعال والاسماء قد كان معروفاً او مستعملاً قبل الاسلام او إبان ظهوره» اهـ

والدكتور محق في أن حديث الرسول — ص — لا يبنى عليهِ أساس لغوي ولا استشهاد وقد نقل البغدادي في اول خزانة الأدب اقوال العلماء في هذا الامر ومعظمهم يذهبون ذلك المذهب فيهِ، وذكر مثلاً لذلك روايتهم عنهُ — ص — قوله : ملكتكها بما معك من القرآن زوجتكها بما معك ... خذها بما معك ...، وقال ابو سليمان الخطابي وجماعته : ان لفظ الحديث تناقلته أيدي العجم حتى فشا فيهِ اللحن وتلعبت بهِ الالسن حتى حرّفوا بعضهُ عن مواضعهِ، وما هذه سبيله فلا يحتج بالفاظه المخالفة لان المحدثين لم ينقلوا الحديث لضبط

الفاظه حتى يحتج بها بل لمعانيه ولهذا أجازوا نقل الحديث بالمعنى ، ولهذا تختلف الفاظ الحديث الواحد اختلافاً كثيراً »[1] . وقال صديقنا الاستاذ الزيات « عرف الجاهليون ولا ريب هذه الكلمة واستعملوها على التعاقب في معان ثلاثة » ثم قال « ولا عبرة بقول من نفى ذلك مستدلاً بعدم ورودها في الشعر القديم والقرآن الكريم فان ورودها على لسان الرسول (ص) في حديثه للامام علي (ك) وورودها على ألسنة الصحابة والتابعين دليل على وجودها في الجاهلية لان الرسول لم يرتجلها ارتجالاً وانما استعملها استعمالاً بدليل فهم الامام لها دون سؤال ولا مراجعة » قلنا : اما القول الاول فممكن ولكنهُ لم يؤيده بالرواية اللفظية الصحيحة ، واما النقل الثاني فلا أرتضيه له صيانة مني لتحريه وتحقيقه وتثبته في قضايا الادب العربي ، وهو بعد صديق كريم

قلنا آنفاً ان الادب صنو الهذب وهو في الاصل الخلوص والصفاء ، ولقد ورد الادب في الكلام الجاهلي بخلاف ما زعم الدكتور طه حسين وورد في كلام الامام علي بن ابي طالب — ع — اما من ورد في كلامه من الجاهليين فهو اكثم بن صيفي خطيب بني تميم الشهير قال ابو هلال العسكري في الكلام على المثل « ويل للشجي من الخلي » ما نصه « المثل لاكثم بن صيفي ، وذلك انهُ ذكر له رسول الله — ص — فكتب اليه « باسمك اللهم فأدبني بآدابه ، من العبد الى العبد ، اما بعد فبلغنا ما بلّغك الله خير خير ما اوصله ، إن كنت رأيت فأرنا وان كنت علمت فعلمنا وأشركنا في خيرك » وكان الكتاب مع رجل اسمه « جيش » قالوا أبو هلال « فتبعه مائة من عمرو وحنظلة وخرج الى النبي — ص — فلما كان في بعض الطريق عمد جيش الى رواحلهم فنحرها وشق ما كان معهم من قربة وهرب ، فأجهد اكثم العطش فمات وأوصى من معه باتباع النبي — ص — وأشهدهم أنه اسلم فأنزل الله فيه : ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله [2] » فقوله « فأدبني بآدابه » لايحتمل الشك ولا التأويل لورود الأدب جمعاً مع فعل التأديب ، وقال الامام علي — ع — كما في نهج البلاغة « قد دارستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ماجعجتم لو كان الاعمى يلحظ أو النائم يستيقظ وأقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة [3] » عنى بابن النابغة عمراً بن العاص ، وقال يصف رجلاً « قد لبس للحكمة جنتها وأخذها بجميع آدابها [4] » وكتب عبد الله بن عامر إلى معاوية « ولنعم مؤدب العشيرة أنت وإنا لنرجوك بعد عثمان [5] » وقال علي أيضاً « وادبتكم بسوطي فلم تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا [6] » وقال حجر بن عدي الشهيد لعلي « يا أمير المؤمنين تقبل عظتك وتتأدب بأدبك [7] » فالأدب وأفعاله مستفيضة في كلامهم ، أما أطوار الأدب فليس لنا من الوقت مايسهل الكلام عليها ولكن سنفي بالوعد

بغداد — مصطفى جواد

(١) المصباح المنير مادة « وسط » (٢) جمهرة الامثال ص ٢٠٣ طبعة مصر (٣) شرح ابن أبي الحديد « ٢ : ٥٢٦ » (٤) الشرح « ٢ : ٥٣٥ » (٥) الشرح « ٢ : ٥٧٣ » (٦) « ٢ : ٥٣٦ » (٧) الشرح « ١ : ٢١١ »

بيسان وآثارها

﴿ جغرافيتها ﴾ — بيسان مدينة واقعة في منخفضات سهل إزدراليون أو مرج ابن عامر Esdraelon يسكنها ١٥ الف نسمة معظمهم إسلام وهي قصبة قضاء يعرف باسمها الآن ، قائمة عند الكيلو التاسع والخمسين من خط حيفا — درعا ، في الجنوب الشرقي من المرج المذكور وسطحها منخفض ١٣٠ متراً عن سطح البحر . ولا يزورها احد منا الآن إلاّ ويحمل معهُ عند رجوعه منها ذكرى الحر الشديد فيها والبعوض المنتشر فوق مستنقعاتها وهذا رغما عن الاعمال الجليلة التي قامت بها الحكومة الحالية لتخفيف وطأة الملاريا فيها . غير انهُ لا بدَّ لهُ وخصوصاً إذا ما رجع إلى تاريخها الحافل بالحوادث التاريخية الاّ ان يقف متحيراً عند ما يعرف انهُ كان لها شأن خطير في تاريخ فلسطين من قديم الزمان . وبالرغم من هذا كله لم تجرؤ الجمعيات العلمية على طلب رخصة للتنقيب عن آثارها إلاّ بعد أن إحتلَّ الانكليز هذه البلاد لانها كانت ملكاً خاصًّا للسلطان عبد الحميد

﴿ الحفريات وبيسان ﴾ وكان اول من نال امتياز التنقيب بعثة متحف جامعة بنسلفانيا بفلادلفيا سنة ١٩٢١ وكان من العبث ان تقوم البعثة المذكورة بالحفر والتنقيب عن كل آثار العصرين الروماني والبيزنطي في المدينة لانهُ عمل شاق جدًّا وانما حفرت التل المسمى بتل الحصن Tel El Husn وهو تل يرتفع عن سطح الارض (١) ٢٥٠ قدماً تقريباً وكذلك المقبرة التي تمتدُّ على الشاطىء الشمالي من نهر جالود Jalud . والاراضي التي تقع حول بيسان خصبة جدًّا حتى أنها كانت تنتج كتاناً اشتهر في العالم القديم

دلّت الحفريات الحديثة أن المدينة كانت قائمة من قبل القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وقد أسفر البحث عن وجود كنيستين واربعة معابد اثنان منها يرجعان الى العهد القديم . أولها (١) بيت عشتاروت (٢) The House of Ashtaroth وثانيها (٢) معبد دجون (٣) The Temple of Dagon وعثرت البعثة كذلك على أحجار نقشت عليها كتابات تختص ببعض ملوك مصر الاقدمين سوف أشير اليهم فيما يأتي

﴿ أسماء بيسان ﴾ واسم المدينة في العبرانية القديمة «بث شان» Bethshan ومعناها «بيت

(١) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية . الجزء الثالث وجه ٣٣٣

(٢) راجع صموئيل الاول الاصحاح ٣١ العدد ١٠ (٣) راجع الاخبار ١ الاصحاح ١٠ العدد ١٠

السلام او الهدوء » ولكن لما احتلها اليونان غيّروا اسمها هذا إلى Scythopolis اي « بيت السيكيثيين »[١] Scythians ولكنها لا تزال تعرف باسمها القديم ولا ندري ما الباعث على ذلك. ويقال انها كانت تدعى مرةً ما باسم[٢] Mysa وهو الموضع الذي وضع فيه الاله باخوس Bacchus وارضع من عرائس البحر Nymphs ولقد ظهر هذا الاسم على بعض النقود التي وجدت في المدينة

﴿ نبذة عن تاريخها ﴾ ذُكر اسمها بين اسماء المدن التي احتلها تحتمس الثالث[٣] عند ما احتلّ سهل ابن عامر سنة ١٤٧٩ ق.م وكانت ايضاً في قبضة المصريين على ايام ستي الاول سنة ١٣١٤ ق.م. وبقيت على هذه الحالة الى أيام رعمسيس الثالث سنة ١١٩٨ ق.م. وقد وُجد اسمها ايضاً مذكوراً على احد دروج البردي Papyrus Anastasi على أيام رعمسيس الثاني. واستولى الاسرائيليون على المدينة في أيام الملك داود حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م. وكان من نتيجة موقعة جلبوع[٤] Gilboa الشهورة في التوراة أن علقت جثتا الملك شاول Saul وولده بعد هزيمتهما وقتلهما على سور المدينة. ثم احتلها بعد ذلك المصريون على ايام الملك Sheshonk سنة ٩٢٦ ق.م وبقيت من ذلك الوقت في ايدي المصريين إلى أن افتتحها الاشوريون في القرن السابع قبل الميلاد

وفي المدة الواقعة فيما بين سنة ٣٠١ ق.م — سنة ١٩٨ ق.م دخلت المدينة في حكم البطالسة ولما جاء الرومان الى فلسطين احتلوا المدينة سنة ٦٥ ق.م على أيام بومبي Pompey ومن ثمّ اصبحت اشهر مدينة بين المدن العشرة الرومانية في الشرق الادنى المعروفة بـ Decapolis وأخذت تنمو وتتقدم فكثرت فيها العمارات والبنايات الكبيرة كالملاعب والملاهي واصبحت تفوق مدينة القدس تجارة ونفوذاً وسعةً وسكاناً. ولما جاء المسلمون فلسطين فتحوها سنة ٦٣٦ ق.م. وفتحها صلاح الدين ايضاً سنة ١١٨٧ ميلادية مع عفربال Arrabalo او Fourbelet واغتصبها من ايدي الصليبيين. ويقال انهُ لما خسر البيزنطيون موقعة اليرموك المشهورة تراجعوا الى ما وراء نهر الاردن وذلك بعد ان حصنوا بيسان حتى انهُ لما تبعهم العرب[٥] وجّهوا عليهم ماء العيون التي في المدينة ولكن العرب لم يعبأوا بذلك فهجموا عليهم وكان من نتيجة ذلك أن انهزم البيزنطيون شرّ هزيمة وتعرف هذه الموقعة بموقعة النحل[٦] Fahl وهو الاسم العربي لمدينة Pella القديمة وأصبح يُعرف هذا اليوم فيها

(١) وهم قوم نزحوا من الشمال الى فلسطين حوالي سنة ٦٠٠ ق.م (٢) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في كتاب The Historical Geography of the Holy Land by. G. A. Smith وجه ٣٥٧—٣٦٣

(٣) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في دائرة المعارف الانكليزية

(٤) راجع صموئيل الاول الاصحاح ٣١ العدد ١٢

(٥) راجع النقل المكتوب عن بيسان في مجلة The Museum Journal Dec. 1928 الصادرة في فيلادلفيا بأميركا (٦) راجع ما هو مكتوب عن بيسان في The Hist. Geog. Holy Land ايضاً

بعد في التاريخ الاسلامي « بيوم بيسان »

﴿ بيسان ومكانتها الأثرية ﴾ دلّت الحفريات الحديثة أن تاريخ التل المذكور أي تل الحصن يرجع إلى ما قبل ٣٠٠٠ سنة ق. م. وقد توصل علماء الآثار إلى معرفة هذا من الحفر في بئر بجانب التل والعثور على طبقات بناء مختلفة يرجع تاريخ كل واحدة منها إلى عصر معروف ، ويقع ضمنه معبد المدينة القديم والمدينة الكنعانية القديمة « The Canaanite City » والقلعة المصرية وهي قلعة مبنية من الآجر فيها غرف صغيرة وممرات طويلة . أما حجم اللبنات المبنية منها فتبلغ[1] ٢١ × ١٤ × ٦ بوصات . ووجد في هذه القلعة لوحات من الحجارة خطّت عليها نقوش تختص بكل من سيتي الأول ورعمسيس الثاني وتغتال رعمسيس الثالث وكل هذه الاحجار[2] مقطوعة من نوع من الرخام . أمّا النقش الحجري فللملك سيتي الأول

١ — اللوحة الاولى : دوّنت عليها أسماء القبائل المتعددة التي خضعت لهُ في غزواته عند دخوله فلسطين والكتابة على هذا الحجر صعبة القراءة جدًّا وترتيبها غير معيّن وهي تختلف كثيراً عن بقية النقوش الخطيّة التي أقامها هذا الملك ولا يمكننا بواسطتها أن نعيّن السنة التي غزا فيها مدينة بيسان ومتى أقام الحجر المذكور فيها وعلى الإجمال فهذا النقش يُعطينا شرحاً لابأس بهِ عن غزو سيتي لبعض من الشعوب الآسيوية كشعب Rtnw « رتنيو » وهذا هو الاسم المصري للشعب الذي كان يسكن فلسطين في ذلك الوقت

أما في ما يرتبط بالعساكر التي استخدمها هذا الملك في غزوة فلسطين فالحجر يبيّن أنها كانت « مستأجرة معظمها من الجزائر الإيجيّة «Aegean Islands» ومن غرب الأناضول »

٢ — وهنالك نقشٌ خطيٌّ آخر (Stele No 2) وجدته البعثة الآنف ذكرها وعليهِ منقوش صورة Seti I أيضاً عند ما كان شابًّا متحليًّا بالشارة الملكية المصرية « وهي رأس الحيّة » يُقدّم قرباناً إلى الإله هورس « Horus » وعلى هذا الحجر مكتوب قصة تشير الى أن أهالي بيسان وكذلك أهالي رهوب Rehob قد طلبوا النجدة من الملك المُشار اليه لاعانتهم ضد أهالي Hanmath[3] الحمة (وهي قرية واقعة على نهر اليرموك فيها ينابيع حارّة . (راجع الخريطة) وأهالي قرية Pella (وهي قرية أيضاً تقع شرقي بيسان من الجهة الثانية للأردن) ، وكيف أنهُ عند ما وصل مجدّو Megiddo[4] كان قد أوفد مجدة للمستنجدين

(١) راجع مقال الدكتور Fisher عن بيسان في « مجلة متحف جامعة بنسلفانيا » عدد ديسمبر ١٩٢٣

(٢) ان الشرح المعطى لهذه الاحجار في هذا المقال مأخوذ بعضه من مقال خصوصي عنها للدكتور فنكلستين أحد اساتذة جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins

(٣) قرية خربة فيها بعض من الآثار الرومانية واقعة على خط سيفاستوريا وفيها كنيس يهودي قام بحفره حوله في الصيف الماضي بعثة ارسلت من قبل الجامعة العبرية بالقدس . ويزورها الآن كثيرون من الذين يطلبون الاستشفاء للاستحمام في حماماتها الساخنة . (٤) بلدة قديمة واقعة في سهل مرج ابن عامر كانت ذات شأن كبير في تاريخ فلسطين ويقوم بالحفر فيها الآن بعثة مرسلة من قبل جامعة شيكاغو [المقتطف]

في كتيبتين من كتائب جيشه أحداهما Ra وهذه ذهبت لاحتلال بيسان والثانية Amen وهذه ذهبت لإخضاع أهالي الحمة Hammath وبعد ذكر وقائع أخرى تنتهي الكتابة المنقوشة بذكر انتصار ستي الاول (Seti I)

وهذا الحجر هو أهم الاحجار التي وُجدت في بيسان من الجهة التاريخية لأنهُ يشرح لنا بعض الحوادث المدوّنة على جدران معبد الكرنك في مصر . ومعرفتنا لتاريخ فلسطين في المدة التي تقع فيما بين عصر تل العمارنة وعصر دخول الإسرائيليين إليها يتوقف بعضاً ما على ما هو مكتوب على هذا الحجر . وأول شيء يهم الإنسان في قراءة هذه المخطوطة الحجرية هو تاريخها المضبوط «السنة الأول ، الشهر الثالث من الفصل الثالث، اليوم العاشر» وهذا يعني أن سيتي الأول كان قد غزا فلسطين في هذا التاريخ ابتداء من تولّيه عرش الفراعنة

وهذا الحجر يدلنا على أن الحجر الأول للملك نفسه لم ينصب عند ما غزا فلسطين أوّل مرّة بل كان قد نُصب عند دخوله إليها في المرّة الثانية

أما اسم بيسان فتجده مذكوراً مرتين عليهِ وبهجئة اسمها باللغة الهيروغليفيّة تدلّ أنها نفس المدينة المذكورة في رسائل تل العمارنة « Tel El Amarna letters »

٣ — اللوحة الثالثة (Stele No 3): أما حجر رعمسيس الثاني فيقع بجانب الحجرين الأولين لسيتي الأول وكتابتهُ تُقرأ بسهولة وتتألف من ٢٤ سطراً كلها تنطق بعظمة الملك الموصوف «كالأسد بين النعاج» و «كالنسر بين الطيور» و «كالملك الذي يهرب من أمامه الأعداء كتطاير الريش في الريح الشديدة» . وهذا الحجر هو أكبر الثلاثة حجماً وتاريخه «السنة التاسعة ، الشهر الرابع من الفصل الثاني ، اليوم الأول» . وقصة ذلك أنه في السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثاني كانت قد ثارت عليه بعض القبائل الشمالية وأغلبها من الحثيين فجاء وأخضعها بجيوشه وفتح بيسان وأقام في قلعتها المصرية هذا الأثر التاريخي بعد سنة تقريباً

ومكانة هذا النقش الخطي من ناحية التاريخ تقع في السطر التاسع منه حيث يقول أن شعباً آسيوياً[1] كان قد استخدمهُ الملك في بناء مدينة Ramses في دلتا النيل Delta وهذه هي البلدة المذكورة في العهد القديم من التوراة في سفر الخروج الاصحاح الأول العدد ١١ . ومن هنا يمكننا أن نرى أن اليهود هم الذين كانوا قد استخدمهم رعمسيس الثاني في بناء بلده

ويذكر أيضاً على الحجر أن الملك المذكور كان قد أعدّ مقبرة جميلة لجنوده في بيسان ولقد دلّت نتائج الحفر في هذه المقبرة على أن الأشياء التي وُجدت فيها يرجع تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة ق . م . وأنها مصرية الصبغة بكل مظاهرها كوجود زهرة اللوتس Lotus والحيّة الملكية المصرية ويرجّح ان العساكر التي دفنت في هذه المقبرة كانت مستأجرة في الجيش المصري

(١) وهذا دليل قاطع يدلنا على ان الاسر الاسرائيلية في مصر كانت على أيام هذا الملك يشير الى ذلك ماهو مكتوب في الاصحاح الاول من سفر الخروج العدد ١١ بقوله «فبنوا للفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس»

وبجانب هذا الحجر وجد تمثال رعمسيس نفسه مكسوراً ويظهر على كتفيه شعار ملكي مصري آخر وهو نظرشوش الفرعوني Cartouche

ويقول الدكتور Albright [1] ان هذه الاحجار الثلاثة هي اهم ما وُجد من الآثار القديمة في فلسطين وسوريا لانها تدلنا على تاريخ هذه البلاد بوجهة جلية

وتدل البيوت المنتشرة حول القلعة المختصة بالسيكيثين Scythians الآنف ذكرهم انهم لم يكونوا على شيء عظيم من الحضارة لان هذه الآثار تنطق بذلك . ولقد بقيت بيسان من ايام هؤلاء القوم على حالة مضعضعة الى ان احتلها اليونان فتغيرت من مدينة حرب الى مدينة تجارة وسلام واصبحت تفوق بتاريخها من هذا الوقت مجدها القديم وجبروتها العظيم ودخلت بذلك عهد نهضة جديدة . واول أثر يدل على هذه النهضة في المدينة هو وجود معبد جميل في اعلى نقطة فيها عثر بجانبه على قطعتين من الرخام مكتوب عليها نقوش خطية مع ذكر اسم ديمتيريوس Demetrius وبعض من النقود الفضية مكتوب عليها Ptolemy Soter I الملقب بـ Polyorcetes ملك مكدونيا من سنة ٢٩٤ — سنة ٢٨٧ ق . م . ولسبب ما لا نعرفه بقي بناء هذا المعبد ناقصاً الى ايام الرومان الذين اكملوه وقاموا بترميمه فيما بعد واعمدته ذات قواعد اتيكية Attic ورؤوس كورنثية وتدل النقوش واكاليل الزهر المنقوشة على جدرانه انهُ كان قد كرّس الى الاله باخوس [2] Bacchus ولما كان موقع بيسان الجغرافي ممتازاً جعلها الرومان قاعدة مدنهم العشرة Decapolis وأصبحت مركزاً تجاريًّا كبيراً تمر بها القوافل والتجار في طريقهم الى شرقي الاردن

وكان يعيش بجانب العنصرين الروماني واليوناني في المدينة فريق من اليهود كان لهم شأن خطير في تاريخها ففي سنة ٦٥ ق . م . انحازوا الى جانب اخوانهم الوثنيين من سكان المدينة ضد بعض الثوار الذين قاموا في وجه الحكم الروماني في ذلك العصر ولكن هذا الجيل لم ينفعهم لان الوثنيين غلبوهم بعد هذه الحادثة بقليل وذبحوا منهم ما يقارب (١٣٠٠٠) نفس . ولما ظهرت النصرانية اصبحت بيسان مركزاً مسيحيًّا كبيراً وصار يسكنها مطران يترأس عدة كنائس فيها واول كنيسة بنيت فيها كانت في القرن الرابع للميلاد وكان موقعها على رابية وفي جوار هذه الكنيسة من الجهة الشمالية وُجد قبر سانت بأروفيلس St. Patrophilus اول اسقف مسيحي للمدينة . وفي ايام الاضطرابات التي قامت ضد المسيحيين سنة ٣٦١ ميلادية نُهبت الكنيسة المذكورة وحُرقت ولكن لما استتبَّ الامر للمسيحيين ثانيةً بنوها بعد ان غيروا في هندستها الشيء الكثير . ولما دخل المسلمون فلسطين سنة

(١) ويؤيد قول الدكتور Albright كثيرون علماء الآثار منهم الدكتور G. S. Fisher وهو الذي وجدها في بيسان سنة ١٩٢١ (٢) وهو اله الخمرة عند اليونان

٦٣٧ ب. م. حولوها الى جامع فأضافوا اليها بعضاً من النقوش الخطية الكوفية ولكنهم لم يغيروا شيئاً من اصل البناء . وتدل النقوش الكوفية التي وجدت في اماكن مختلفة ان هذا الجامع كان قد سقط وخرب بواسطة الزلازل إما في سنة ٦٥٨ ب.م. او في سنة ٧١٣ ب م. ولم تقم له قائمة فيما بعد لأن بعضاً من البيوت العربية للسكن امتدت اليه وتعرف هذا من كتابة كوفية منقوشة على عامود وجد حديثاً والتي كتبها رجل عربي زار المدينة في سنة ٧٨٤ ب.م. والراجح ان بيسان كانت معروفة للسيد المسيح[1] لان على مقربة منها كانت تقع بيت عبرة وهو الموضع الذي تعشد فيه وكان لابدّ له ولتلاميذه ايضاً من اجتيازها عند ما كانوا يبشرون بدينهم الجديد في منطقة الجليل

ولم تتوطد دعائم النصرانية في هذه المدينة الاّ في اواخر القرن الثاني للميلاد فاضطهد مسيحيوها على ايام الامبراطور ديوقليطيانوس (٢٤٥ — ٣١٣ ب. م.) وتضعضعت احوالهم ولكن عددهم اخذ يزداد بعد هذا وصار لهم كلمة مسموعة في شؤون الكنيسة وكان لهم ممثل في المجمع الكنائسي الذي عقد في نيقية Nicaea[2] سنة ٣٢٥ م. ولقد اصبحت فيما بعد مركزاً عظيماً للرهبنة المسيحية اخرجت رجالاً كانوا اصحاب سطوة في تاريخ الكنيسة الشرقية مثل القديس باسيليوس St. Basil والقديس كيرلّوس St. Cyril

❊ سبب انحطاط بيسان الآن ❊ : — قلنا آنفاً انهُ في اثناء حصار العرب للمدينة سنة ٦٣٧ ميلادية كان قد اطلق الرومانيون عليهم اقنية الماء التي كانت تقع في غرب المدينة فأحدث ذلك مستنقعات حول المدينة ولما دخلها العرب لم يوجهوا عنايةً ما الى تجفيف هذه المستنقعات ومن ثمّ أصبحت للمدينة في خطر هو أشد وأعظم فتكاً من الجيوش الجرارة وذلك الخطر هو البعوض ناقل طفيلي الملاريا

وعند ما احتلّ الصليبيون هذه المدينة ، عرفوا ما لها من الشأن الخطير فبنوا فيها تكنات عسكرية وكان في هذه التكنات قرن غير أنه كان من نتيجة الملاريا الملعونة أن تركَ هؤلاء المحل وذهبوا الى محل آخر على بضعة أميال من بيسان شمالاً سموهُ فيما بعد Belvoir ولكنهم بالرغم من هذا كانوا قد تركوا شرذمة من عساكرهم في المدينة لم تقوَ فيما بعد على صدّ هجمات صلاح الدين سنة ١١٨٧ ميلادية

ومن ذلك الوقت اختفت بيسان بتاريخها العظيم من مرسح التاريخ العام ولا ظهورها بين آونة واخرى كشبح فقط في تمثيل بعض الادوار الصغيرة في تاريخ فلسطين على هذا المرسح

داود . ت . فيشر

---

(١) راجع مقال آخر مكتوب في مجلة متحف جامعة بنسلفانيا عن بيسان The Museum Journal XV—XVI (٢) راجع المقال نفسه في The Museum Journal XV—XVI عن بيسان

اللحن الضائع

لمن لأمل الصبرفي

يا أغاني الربيع ما أنا إلاّ مقطعٌ من قصيدةٍ ضاعَ لحنهْ
لم تلدْ لي الايامُ من يتولّى بعثَ لحني ، وكيف يبرعُ شأنهْ؟
أوَ بين الصخور يكتمل الصو ت؟! محالٌ هذا وكنتُ اظنّهْ...
ادركتْ ذلك الطبيعةُ في الكو ن، فأغضتْ عنهُ،فأُجّل حيرتهْ
وتناستهُ ، والذي تتناسى في شروق الحياة يوشك بيّنهْ
من ذبول الآمالِ، من غُمر اليأ س،وطيف الآلامِ يشردُ ذهنهْ
من ظلام الطريق ،من شبح الوهـ ـم،وفقدِ الوجدان يُطبق جفنهْ
يا اغاني الربيع . . . عندكِ وزنٌ للنشيد الذي تُنوسيَ وزنهْ ؟
كان يصطال سماعك بالأمـ ـس ليصحو من رقدةِ الموت فنّهْ
فإذا العودُ لا يردّدُ صوتاً وإذا القلب ليس يُسمع أنّهْ
والربيعُ الجميلُ في وحشة الاطـ ـلال ، ذاوٍ ، فليس يجملُ لونهْ
مُوحشٌ في الصباح ، في وَضح الشـ ـمس ، وليل الآلام حين يجنّهْ

قصة مصرية

الاوركستر

كانت الحانة ضئيلة الانوار وقد رقت فيها انفاس الليل حتى لكأن الذين اجتمعوا حول موائد الشرب كلما طال ليلهم ازداد استمتاعهم . الليل والخمر ولذة السهر بعثت في جو الحانة حياة ونشاطاً فاشبهت في لجة الحنكة والسكون ضحكة واضحة اشرق بها ثغر حسناء من بنات الهوى

حانة صغيرة ولكن انيقة كأنها لحسن ترتيبها وجدتها صورة في لوحة . لا تكاد تبلغها ضوضاء الطريق لانعزالها في حي هادىء من احياء الافرنج

في تلك الليلة اجتمع حول احدى الموائد في ركن الحانة ثلاثة اشخاص لا يكاد يتبينهم الناظر حتى يحكم بانهم اغرقوا الشباب الغض في لجة الحياة الدنيا غرق الزهر في الآنية . واغربت سماتهم عن حقبة من العمر يظل فيها المرء اسير اهوائه

وقد وفقت بينهم حياة السهر الى حد ان غلب تباين ملامحهم الطبيعي تحت ظلال من التناسب العجيب بين صورهم . وغالباً ما تستوي الصور والطباع في الناس فلا يكاد يفترق السكير عن السكير الا في القليل . وكان الاصدقاء الثلاثة يستوون في اشياء كثيرة ، في طباعهم وحديثهم وازيائهم ، وغير هذه الاعجوبة في شأنهم ان كلاً منهم كان يأخذ بسبيل من الحياة البوهيمية يزيد في اتحاده برفيقيه كانوار الثريا

ولقد تذكر لفظة « البوهيمية » اقتساراً في هذا الحديث فلا يكون المراد منها ذلك الشذوذ المحتمل الذي يعتري حياة رجل غلبت مواهبه طباعه . فانحرف عن سبيل الناس وحاد عن المألوف في الكثير من معاملاته واساليبه . انما الغرض من البوهيمية في معنى الحياة المصرية تلك السمات الملحوظة في بعض الوطنيين الذين وفقوا لمزاولة ما نسميه بالفنون الجميلة . فلا ترام في اليقظة اقل استغراقاً وفتوراً منهم في حالة العكوف على اداء الفن . وحتى يتوضح ان ذلك الاستغراق سحب مخيمة قد شفت عنها الفنون نفسها واتخذت من اصواتهم واحاديثهم صورة خاصة ونغمة مؤثرة توحي بان بؤس الحرفة قد اقترن بوجدهم بها

وكان علوي افندي — اكبر الثلاثة سناً — قد اجاد الضرب على العود وقدّر له ان يكون حليف سهرات وملامر يحفظ المعهود والمستجد من الاغاني ويشدو بها ويرقصها وقد

افنى الليلُ الشطرَ الثمين من عمره فامسى كالشبح الناحل. وكأن صوته الجميل نفس متأوج يتصاعد ببطء من عود جاف . كانت براعتهُ في فنهِ مثلاً لما تبلغهُ الايام من اختبار الحظ السيء الذي لا يبيح السرور ساعة الا لكي يقضي بالكد ساعات . وكأن تلك البراعة ضرب من الحيف على حظ الانسان في حياته

وكان من تمادي الايام في سخريتها ان الصناعة نفسها التي كانت ترفع صاحبها الى مكان الملك قد اختلف حظها في زماننا حتى ازوت في ازكان الحانات واتخذت من آذان العامة والسكارى ميزاناً للتقدير والاعجاب. فقُضي ان ينزوي ذلك المغني البارع في ركن حانة صغيرة لا يزال يرسل في جوها اغانيهُ كأنها ابتهالات الى السماء ، ان تعينهُ على الحرفة والا تجعل نصيب الفن الجميل الصبر الجميل

وكانت الخطيئة الكبرى في حياة هذا الفنان — خطيئة الحظ — انهُ لما بلغ الغاية في صناعتهِ كان ما سلف من ايامه كصفحة وجه الزنجي لا تنبئ ببارقة نور

ولم يكن في مادة هذه الحياة عزاء كالذي يتمثله الناس عند ما تصافح وجوههم بهجة الضحى وتموج الاشعة على المياه والغصون وعند ما تستحيل الوان الطبيعة وانفاسها الى احلام تبشر بمستقبل هنيء

كل ما اصاب علوي افندي من الحرفة اتفق لصديقه وزميله المعلم شعبان القانونجي . وكان على شاكلتهِ يستعير لنفسهِ بعض العزاء من اخلاصه لفنهِ

وكانت خشبة انتهزها المعلم شعبان حاول فيها الضرب على « القانون » وهو بعد يزاول حرفة النجارة الدقيقة . وما زال يلين ما عسر من طرائق الفن حتى اجاده وبرع فيهِ

وبلغ الكمال ولما ينسَ عهده في معمل النجارة ولا غاب عن ذكره تلك الاصابع التي كان يجلس فيها على قوالب الخشب المنحور في جوف المصنع لكي يحفظ الضرب على الآلة معتمداً على طبعهِ وذوقهِ . وكان من ثمرة احسانه لفنه مع رقة حاله انهُ صار زميل « علوي افندي » في « الاوركستر » المتواضع الذي كان يطرب زبائن حانة « الاهرام »

اما كيف تجاوز المعلم شعبان مسافة ما بين حرفة النجارة الدقيقة وفن الضرب على القانون فانها صفحة كجنح الدجى اوضح الوانها كالسرب ينفذ البهِ الساري من خلال غيم ثقيل

فان ذلك الفنان لما بلغ الغاية من فنه صار لا يستطيع ان يتمثل الدنيا الا بعين خياله . عشي بصره لا من طول اختباره لطرائق الصناعة وفنونها ولكن من طول ما افنى في سبيل النجاح من راحتهِ وعناءتهِ فكان ابداعهُ في الضرب على الآلة من الخوارق

ولم يكن من الممكن ان يمضي هذان الفنانان العمر دون ان يصيبهما رشاش من ذلك الحضم المستطاب الذي يعنيهِ الناس بالحياة الدنيا . وهما وان كانت الايام قد فرغت من غدرها بهما

لكنها تخلت لها عما يشبه الهالة من ذلك الاتصال العجيب بين العواطف والانغام . وكأن الايام من بعد ان حجبت النور عن احدهما وانكرت لين الحياة عن الثاني حكمت بان فرحة النجاح في الصناعة بالنسبة لجامد لا يرى وذاهل عن الدنيا لا يعي ، لا تختلف في طبيعة الاحساس عن غفوة يترك فيها ذلك الاتصال بين النغم والعاطفة اثراً يُسَرُّ به قلبا هذين الفنانين

واصغر الاشياء اذا لامس منبعهُ من العظمة عاد شيئاً عظيماً

أمن بعد ان يستحيل الفرع الغضي الى قتاد تسري فيه الحياة ويعود الى ريعانه ؟

في الطبيعة بعث مستمر ، فلقد يؤتى بالفرع الجاف يطعم به جذع شجرة مخضلة او يغرس في تربة مناسبة فلا يلبث ان ينبت ويصير غصناً غضيضاً

كذلك اتفق لعلوي افندي وزميله عند ما اخذ كل منهما مجلسه الى جانب السيدة « ليلى » المغنية وصاحبة حانة « الاهرام »

غير ان الهوى حين امتحن قلب «الصوّاد» سلم بان الطبيعة الانسانية عرضة لان تعمى كالشجرة التي قلّمت ولما يمُدّ اليها اخضلالها . كأن الهوى فرصة تأجلت حتى تجاوزت في عمر الفنان اوان انتهازها . واضاف الحب حين مس فؤاد الفانوجي الاعشى الى قصة الالم الانساني صفحة اخرى كأنها صفحة العمر في مرآة تصوره

يالله : كيف يهتدي الحب الى سبيله من تلك القلوب التي اختارت ان تكون الدنيا بحظوظها وملاذها في مستوى اللحظات المجيدة التي تحسُّ فيها كأنها تتنهل من ينبوع الخلد كلما تفجر ذكاؤها

كان علوي افندي منذ تخلى عن عمله في ادارة البريد — كان من السعاة — قد آلى على نفسه ان يبذل من حياته حتى يلين له ما عسر من طرائق الصناعة . وخلص من ولعه بالضرب على العود بادىء الامر الى الايمان بالاكذوبة الكبرى المتفق عليها ان مجد الفن محسوب على سعادة الفنان

ولكنه آثر ان تكون لذات الشباب فدية لآلهة الفن . وقد روي في الاساطير ان «ابولو» قتل خليله «هرسيس» وهو يداعبه

فلما تأرجت فيه نفحة الفن وصار أستاذاً في الصناعة لم يكن نصيبه من لذة الحياة النصيب الاوفى . وخلقت الايام في طبعه وعواطفه ذلك الاثر الراسخ العميق الذي يدع الانسان امام أجمل الاشياء بلا إعجاب ولا امتاع . سلبَ حبُّ المجد الفنان فضيلة السرور

وكانت عاتبة ليالي السهر والارق الطويلة — حقبة التجارب الاولى للفن — ان درست العاطفة في الفنان لطول اعتزاله وانفراده . كان بلا اسرة . نشأ في إحدى قرى الريف . وكان أبوه اعرابياً من البدو . وامه فلاحة من المنصورة واجتمع في طباعه خشونة الاعرابي وصلفه الى رقة تلك الفلاحة المصرية ودعتها وخلقها الطلق

نشأ وفي فطرته الميل الى الغناء . وكان في صباه يأبى ان تفوته فرص الاستماع في حفلات الغناء فخلفت في نفسه ذلك الاثر البسيكولوجي الذي يغذي الآمال ويصقل الملكات

فكان لا يترك الشدو او الاستماع الا لكي يحتم بانه المغني البارع او المواد الماهر . وان صيته قد جاوز حدود وطنه . ويظل يتحسن صوته في مقطوعات وانغام كأن الذي وهبه الصوت الحسن لم يخف عنه انه سيكون رب الفن في مستقبل ايامه

وتحققت امنية الفنان من بعد ان رزىء بوفاة ابيه . غير ان الارزاق من الخزفة اذ ذاك كان كاستطلاع النور من سم الخياط . فلم يطق البقاء في القرية لما ساءته التجربة الامرين

وما كان من الممكن ان يعد النفس بالنجاح في جو ذلك الريف الذي لا تطيق خشونته وشظفه الا ان يحسب الفن من ضروب العبث والفراغ

واشد ما يتعوذ منهُ التروي ان يكفيه الله شر الفراغ

وكان من دأب «علوي» افندي اذا اجتمع باصدقيه في الحانة ان يظل معهما في حديث طويل قبل ان تأخذ السيدة « ليلى» في الغناء

يقول عن سالف ايامه في الريف روايات كالذي يؤثر عن حياة ارباب الفنون البوهيميين . يرويها بلهجة كأنها طابع صادق لآلام لم تفارقه . وغالباً ما تكون فاتحة تاريخ الفنان لوحة تقيد فيها خطوط المستقبل بخطوط الماضي . وكان يردد في حديثه دائماً ذكر المرحلة الشاقة التي كانت تفصل بين شاب ريفي من سعاة البريد بلا سند في الحياة والمغني المحترف المتفوق

ويدعي علوي افندي في اثناء حديثه انه منقلب على طبعه الذي استحوذ عليه السأم والذهول . ويحاول جهده ان يحاكي الذين افرغت الخمر نشاطهم في قوالب من الحديث الفكه الممتع . وكان يتحدث عن معلمه الشيخ الذي نقل عنهُ صناعة الضرب على العود . وعن ليالي اللهو التي كانا يقضيانها في الاسواق والموالد . ويعلل النفس وتتشد بالنجح ولما تكتمل اداة الفن . وكان يتحدث عن الفن كمن جنى على نفسه

ولا يحاول القانوجي الاعشى ان يبث شكايتهُ الى احد كأنهُ قد رضي ان يحتسي همومه وهموم غيره في صمت . وهو اذا تسفح ما مضى من زمانه ذكر نفسه وهو فتى في نواحي القرى وسيتهُ تحت الاشجار شريداً بلا مأوى . واذ وفق الى حرفة النجارة الدقيقة فزاولها حيناً وأجادها وتفنن فيها وكان ربما عمد اليه المغنون بأعوادهم يصلحها ويجبر كسرها . فما اراد ان يستبدل النجارة بالضرب على «القانون» كان جزاء احسانه ان منحتهُ الطبيعة الظن بدل النور

عشى بصره ولكنهُ بقي يضرب على الآلة وكأن التوافيع اشعة تسطع في صدره

واغمض الليل اهدابهُ على الحانة التي تضاحكت فيها الاضواء والكؤوس والانغام . وكانت الاصوات في داخلها كالقرحة يحتبسها القلب الحنين . وجعلت المغنية تشدو بالدور القديم :

يا ليل طل اولا تطل لا بدَّ لي من سهرك

وكانت نبرات صوتها سيالاً عبقريًّا مستمدًّا من دقات القلوب . وكأن الانغام لجة تتبدد وتجتمع تحت انامل القانونجي . وحنَّ صدر العود حتى امتزج فيه الصوت والعزف كما يكون الاتصال في الطبيعة بين الاغاريد والاشعة

وبقي «علوي» افندي كمن غيبتهُ امواج الموسيقى . اما القانونجي الاعشى فكانت عيناه المضمومتان في اتجاه الى الامام كمن يحاول ان يتبين شيئاً لا يراه . وتوسطهما المغنية الفرعاء . قطعة من الحسن الباهر غضيضه العود كالزهرة في نيسان

وكانت تنظر الى المعجبين بها مبتسمة في زهو كأنما تلوح لها صورتها في مرآة

والحانة الانيقة بحيطانها المدهونة واضوائها الملونة وبابها الزجاجي كمعبد لربة اللذة

ويظل القلب بلا استعداد للحب الى ان يبلغ الخيال بهذه العاطفة درجة التبلور . فتكون اشبه بالتموجات الصوتية التي تحدثها الموسيقى . وللآلة الموسيقية مثل اوتار القلب ودقاته ومقاسمه ولكنها بلا حياة ولا ارادة

ولم تكوّن الجوقة كيانًا على حدة مستقلاً عن الحانة . فان اهواء الانسان من دأبها ان تستلخص السرور من مادة مشتركة كما يستخلص النحل رحيقهُ من النسيم ومعسيله اليانع . فهي تأبى الا ان يكون الغناء مع الخمر والزهر معاً

ولقد يمتنع على الانسان ادراك الكلام او الكتابة في بعض الحالات المرضية وهو مع ذلك يرى ويستمع ولكن ما يدركه يظل كالنغمة او كالاثر الابيض على الديباجة السوداء

وكان يخيل للقانونجي الاعشى انهُ مغمور في لجة من النسيان كلما انشأت المغنية بصوتها الرخيم في مخيتهِ مثالاً معبوداً . وكانت هذه الصورة تصادف في ذهنهِ استعداداً نفسيًّا كالاستعداد الذي تخلقهُ المشاهدة . او كالقابلية التي تحدثها رائحة اللبن في صغار الحيوانات والرضع

وغالباً ما يقنع الانسان بالارج عن رؤية الزهرة نفسها . تلك كانت حال القانونجي الاعشى نحو المغنية الحسناء . كان يحبها ولكنهُ لا يبصرها . والحب للعين التي لا تبصر صفحة من كتاب لا اول له . والقلب يصطنع الحب ما لم يستعن بالنظر . وكان القانونجي يركن في تذوق هذه العاطفة الخاسرة[1] الى نظر زميله العواد . رجل ذاهل عن الدنيا كأنهُ يبصر في سبيل سحري غير سبيل النظر المألوف . والذاهل لا يفكر في شيء . اذن فهو لا يبصر شيئاً

وما كان يدري احد اين مكان النور من ذلك المخلوق . كان مجيداً لم يخطئهُ حكمهُ يوماً في فنهِ . لكنهُ بقي بجموده متخلفاً عن الدنيا . ومجيب ان يكون هذا الطبع في انسان فارق في مواطن اللهو . ولو استطاع القانونجي ان يتجسس حال زميله العواد لادرك انهُ عند حد من الاستغراق

(١) الخاسرة اي اقتباسة من قوله الذين يخسرون الخ

لا يقبل الاستحانة بنظره في الحكم . وحتى الحواس نفسها لا تكاد تعطينا تفسيراً حقيقياً للاشياء . والاثر الذي خلفتهُ الايام في نظر الفانوتجي لا يكاد يختلف عن الاثر الذي طمس حسهُ وكثّر وعيه . وربما تخيل البصير في الظلمة شيئاً لا يبعد ان يطرأ على ذهن الاعشى في النور . فقد كان بصر الفانوتجي بالمغنية اشبه باحساس مستمد من زميله العواد

ولو كان من الممكن تجريد الحب من احلامه وخيالاته لأضحينا تلك العاطفة التي استأثرت بالفانوتجي حباً . ولم تكن المغنية على بينة من ذلك الحب . غير ان الغصن حين يميس يخلف دائماً على الثرى بعضاً منه او من رائحته . ومقدار ما كانت عاطفة الحب تتأجج في قلب الفانوتجي لم تكن تجاوبها بغير العطف المجرد

كانت المغنية كأنها قد اظلت بحمايتها هذين الفنانين . ولم تكن تجهل حالتهما من قبل

وفي سبيل الحب لا يأبى الانسان احياناً ان يكذبه ادراكه . كانت المغنية لحسنها الباهر كالماسة تتألق في دجى . او كالزهر النضرة تهتز في آنية من الفضة . ولقد يتألف من بعض التفاوت في الخلقة جمال خاص يعجب النظر لكن الفانوتجي كان مجرداً حتى من هذه الصفة . هذا الى رقة حاله . ولم يكن للحب منفذ ميسور الى قلب المغنية . فان القدر الذي ابى ان يتساهل في احسان الفانوتجي لصناعته حتى سلبه بصره شاء ان يقترن حسن المغنية بتلك التجارب القاسية التي يتكوّن من خلاصتها سلوك المرأة وخطتها في الحياة

فلم تكن مظاهر حبه الساذج تستطيع ان تقاوم حتى مداعباتها الجدية . كانت عواطفه تخذله وقلبه يزداد خفقاناً عند سماع حديثها . ويبقى وجومه كأنه عبادة مكتومة لحسنها الممتنع

وكلما امعنت المغنية في كلامها ونكاتها حاول انكسار الفانوتجي ان يستند الى استغراق العواد كما يستند ازكن المنهار الى ماهو اوهى منه

وكان وقف الموسيقي يزيد في دقات قلب الفانوتجي . اذ يتوقع ان يصانع جمال المغنية رغبة منه لا تبصر

وتظل هذه الدمية كأنها تشرف من علٍ على هذين الحريتين

والحظوظ تأتلف ائتلاف الطيور الجميلة اما لو كان الفانوتجي موفقاً لاستغنت به عن اختيار جنيس من بين زبائن الحانة . كان رغم حبه كزميله المستغرق لا يستصعب ان يرى المغنية تضاحك هذا وتداعب ذاك من اصحابها ، وكانت اذا خطرت في الحانة اشبهت ضمة من الزهر يترك النسيم من خلفها عطراً

ولا يلتقي الحظ الاوفق من مجالسة المغنية واقبالها سوى رجل متظرف قد ناهز الستين . ذو لحية مهذبة وخطها الشيب . واسرار لطيف اقترن بملامح بارزة

كان يختار مجلسه جانب العواد وزميله حتى اذا ابتدأ الغناء فارقاه . لا يني ذلك الرجل يراقب

المغنية من كتب وهي تحالسهُ النظر الرقيق . وكان لا يترك النظر اليها الا لكي يعن في احتساء اقداح الويسكي ولا يزال يشرب حتى يسكر ويزداد بريق عينيه . اذ ذاك كانت المغنية تهبط اليه وتأخذ في حديث طويل معه

كانت بوادر هذا الحديث تنذر في ابتدء بلية السيدة «ليل» في اغلاق الحانة واختيار حياة عائلية هادئة بالاشتراك مع رجل عظيم الخلق مثل ماجد بك وعلى أن هذه الاشاعة انقطع ماجد بك فجأة عن المجيء الى الحانة

كان القانونجي لا يفارق «البار» في الهزيع الاخير من الليل الا لكي يجتمع بشرذمة من محترفي الغناء والتمثيل في مقهى وطني قائم على منحدر كالكأس المرفوعة بيد الساقية

وبين هؤلاء ساكناً مستغرقاً كأن مهنته ان يسمع . وفي الحقيقة كان حديثهم يجري نخبة من نوادر ارباب الفنون وحوادث حياتهم البوهيمية العجيبة . وكانت حياة القانونجي نفسه كأنها عنصر اشتراك في ذلك الحديث

عاد المعلم شعبان ذات ليلة الى المقهى الصغير يحمل «القانون» فلم يكد يقع عليه نظر صاحب المقهى حتى بدا عليه الاستغراب اولاً لانه رآه يحمل الآلة الموسيقية . ولم يأت بها من قبل . ثانياً أنه جاء قبل ميعاده . وعادته ان يأتي المقهى بعد منتصف الليل . وغلب الفضول صاحب المقهى فسأله — الظاهر انك « مفودس » الليلة يا معلم شعبان !

اجاب القانونجي — انا والله « مانفودس » ابداً لو واصلت الليل بالنهار في الشغل . ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

— ماذا حدث ؟

قال القانونجي بلهجة يغلب عليها التأثر — لقد اغلقت الحانة

واضاف الى ذلك : ولعلك لا ترى بأساً من اقامة حفلة انس في المقهى هذه الليلة

فابتسم صاحب المقهى وقال : يسعدني على الاقل ان اسمعك

قيل ان بعض الطيور البحرية اذا فقد الغذاء شق بطنه بمخلبه واستخرج امعاءه والقى بها لفراخه . ويقترن الهه بوداعه في آهة أليمة يسدرها في الجو

وقد كانت توقيعات القانونجي الاعشى في تلك الليلة من قبيل تلك الآهات الاليمة يقترن فيها الوداع بالالم . ولم يترك دوراً ضربهُ في الحانة الا ردّده . واحتبس الالم في فؤاده حتى بدا لفرط تجلده في مظهر زميله العواد . ولما تناهى الليل وخلا المكان سمع صاحب المقهى صوت وقوع الآلة الموسيقية على الارض . فحسب ان النعاس قد استولى على القانونجي . غير انهُ حين اقترب منهُ ليوقظهُ هوى الفنان المثيث بين ذراعيه

عبد الحميد سالم

صورة قلمية

احمد صديق بك

مدير بلدية الاسكندرية

اعجبت كل الاعجاب بالاسكندرية وبما شاهدته فيها من دلائل الرقي والعمران ووسائل الصحة والتنظيم ولا شك عندي في انها اجمل مدينة على البحر الابيض المتوسط وانه ليسرني ان اعلم ان الفضل في ذلك عائد الى صديق بك الذي ما فتىء يسعى على تنظيمها وتجميلها ولن يمضي وقت طويل حتى تصبح ذات شهرة عالمية وتستعيد مجدها القديم محافظ لانكشير

لما يهر الاوروبيون المعاصرون بعظمة المدنية الحديثة ، اهتدوا الى شيء وهو ان هذه المدنية قد ميزتهم على القدماء بملكة النقد والتقدير . فالذين يلاحظون التطور الباهر الذي اكسب الاسكندرية كل هذا الجمال لايستطيعون تقدير الجهود الخارقة التي حققت هذه المعجزة . وحتى اذا استطعنا تقديرها فاننا لاندري الى من ننسبها فانها تؤلف جهاداً عمرانياً حقيقياً في سبيل ترقي المدينة التي كانت ثانية عواصم الدنيا بعد روما

ولقد يكون التقدير ثمرة الذوق المهذب . فان محافظ لانكشير حين زار الاسكندرية اخيراً كانت نتيجة اعجابه الجم بما شاهده من دلائل الرقي والعمران ووسائل الصحة والتنظيم وآيات التجميل انه لم يملك غير الاعتراف بفضل هذه الجهود الى صاحب العزة احمد صديق بك مدير البلدية العام

ولقد كان من حظ الاسكندرية ان ما بذله مديرو البلدية السابقون من الجهود في سبيل رقيها وعمرانها قد أثمر ثماره الباهرة في عهد صديق بك كما اجتمعت لها الدولة الرومانية وعظمتها وقوتها في عهد اوغسطس قيصر . غير ان المزايا العظيمة التي عرفت بها شخصية صديق بك وقوة رأيه في الاوقات التي تعرض فيها مسألة تنظيم المدينة واصلاحها وتجميلها لا يجعل مجالاً للشك في نسبة هذا التقدم الباهر الى ذكاء المدير ومساعيه التي جعلت الاسكندرية أجمل مدينة على البحر الابيض المتوسط

ولقد تذكر الآن في كثير من الدهشة والاستغراب ما ورد على الألسن عند توليه ادارة

البلدية التي كانت قد وسبت في لجج عميقة من الفوضى والارتباك لم ينظر وقتئذ الى مزايا صديق بك وقوة شخصيته وذكائه ومواهبه وذوقه المثقف وحسن ارادته نحو تحقيق الاصطلاحات التي تحتاج اليها المدينة ، انما قيل لأول وهلة انه بعد شاب لا يملك القوة الكافية للتغلب على الاختلافات ووجوه التناقض التي لا بدَّ من حدوثها في دائرة دولية لم يكن قد تسرب اليها شيء من التوفيق ولا التفاهم الحسن . وكانت ثقة صديق بك الشاب بنفسه واعتداده بمواهبه وانه كفء لتهمة الشاقة التي اختير لها كأنهما حكم فاصل في مسألة من هذا القبيل

وفي الحقيقة انه لم يلبث ان ترك لمرؤوسيه في غير ضجة ولا اعلان امثلة عليا في النشاط والمثابرة على العمل والذكاء . وتجلى ذكاؤه على الاخص في الاحوال الدقيقة التي كان لا بدَّ فيها من تأييد مذهب التوفيق بين النزعات المختلفة والمتناقضة التي تصدر عادة من هيئة دولية

***

وثم ميزة اخرى أجلّ من كل ماتقدم وهي المدة القصيرة التي استطاع فيها مدير البلدية الشاب ان يكتسب مع ثقة الاهلين اعجاب اولئك الذين ارادوا ان يعترضوا سبيله الى الادارة بزعم انه شاب . وقتئذ تبين ان شباب صديق بك مفخرة ومجد لشخصيته ولجميع الذين رأوا فيه الرجل الصالح لادارة البلدية . وكذلك دلت اعمال صديق بك على انه من اولئك الافذاذ الذين لم تفسدهم حدة الشباب في هذا الوسط الخداع المرتطم في كل انواع اللهو والحماقات . وانه من الذين تنمو فيهم العقول قبل ان تكتمل اجسامهم ، وتشيب ارواحهم وهم لا يزالون في اغر مراحل العمر ، فانت لا تراه الا مسترسلاً في عمله ، متوفراً على شؤونه ، يعمل بدأب وثبات مستعيناً بمبادىء النظام والترتيب والارادة الحسنة . وهذه المزايا العملية تتطلب اعصاباً ساكنة ثابتة لا تستفز ، وقلوباً هادئة لا تستطار ، والنظام من الصفات التي لا تنضج الا في الشيوخ والمكتملين في العمر ، لانهم جاوزوا حدود الشباب ، وهو في الغالب دور التقلب والقلق والاضطراب ، لان الاعصاب لا تستطيع اذ ذاك ان تسكن الى الهدوء الذي يطلبهُ النظام ، ولا تحتمل الجمود على طريقة خاصة لا تغير فيها ولا تحويل . ولكن الطبيعة — لغرض من اغراضها — لا تخلق قانوناً الا فتحت له باباً لمحاجّتها فيهِ ومحاورتها ، فهي تضع لكل سنّة من سننها شذوذاً ، ولكل ناموس صلب من نواميسها عجائب وفروقاً ، لان مبدأ الطبيعة ان تعمل على التحير والادهاش والاغراب ، لكي يبقى سرُّ الكون ابد الدهر مكتوماً . ولذلك كان غريباً حقاً ان يكون صديق بك وهو في السن الباكرة الناضرة يجري في عمله بقوة الرجل الذي قطع المراحل الكبيرة من العمر حنكة وتجربة ودرساً لاخلاق الحياة واسرارها ، ولكن

القوة الالهية بعد تدبير في الطبيعة على مبدأ التعويض ، ففي وسط المئات من الشبان الطائشين الخفاف الاحلام المسمنين في سبل اللهو وطرائقه ،تأبى الا ان تنمي قلائل من الشبان الصالحين الكبار النفوس المحترمين واجب الحياة ، ومن هنا كان صديق بك وامثاله هم هؤلاء القلائل الذين تريد القوة الالهية ان تعوض بهم من فساد غيرهم

ويظهر ان اقتران منصب صديق بك بمسائل الاصلاح والصحة والتجميل وهي مسائل انسانية قد وافقت مزاج المدير الشاب فانفتحت مواهبهُ ودلَّ على قوة رأيهِ لاسيما عندما يحتدم الجدل في القومسيون فيشترك برأيهِ للتوفيق او للفصل ، وهو اذ يتكلم لا يندفع في القول بادىء ذي بدء ولا يرفع صوتهُ ، فالكلام بطيء والعبارات مفصلة ، ولكن لا يلبث حتى يعلو ويتدفق ثم ينفجر ويتعاظم ، لا يردده سوى ثباته ، ولا تحركه سوى الارادة التي يعبر عنها ، وهو صوت لا سحر في نبراته ، بل يكاد يكون أجش قليلاً ، ولكنهُ لا يتصنع ولا يترفق ، ولا يداعب الالفاظ ، بل يتجه الى القلوب توًّا فيغزوها ، وينفذ الى سويدائها ، وكلما علت المناقشات ، وارتفعت الجلبة سحقها هو ببيانه . وهكذا تظل كلمته هي العليا

***

وصديق بك رجل هادىء جذاب . تستطيع ان تتبين مواهبهُ وطباعه من ملامحه ،وهو دائمًا الرجل الذي يعرف حدود مسؤوليته،وتمتُّ حدة نظره على ذكائه وبصيرته وهو اذا حدثك بالفرنسية لا تستطيع ان تفرقهُ عن ابناء هذه اللغة ، ويجيد ان الفرنسية الانجليزية والالمانية عدا العربية التي تستطيع ان تؤيد انهُ متين الديباجة فيها حتى انهُ يفوز باعجابك ويحملك على الدهشة كلما تولى تصحيح خطأ المترجمين في الجلسات ويسرك ان تستمع منهُ التعبير العربي ترجمة لصيغة فرنسية فذة ، وهو بعد المدير الذي يحق له ان يعوّل على مرؤوسيه ولكنهُ استطاع بمواهبهِ ان يكون في كل موقف عنوان الكفاية فلا تفوته كبيرة ولا صغيرة

ولم يكن من المستغرب ان تكون روح الارادة والنظام في شخصية صديق بك توازي الفطرة القانونية ، فهو قانوني واداري من الطراز الاول،لا يعول في شيء من الاعمال الا على رأيه ، وهو بذلك يضرب المثل لكثير من مرؤوسيه الذين تمدمت اعمالهم دون ان يتعمدوا التفرد في آرائها او بحثها . من اجل ذلك كان المدير الذي اكتسب اجلال مرؤوسيه بالمثل والقدوة لا بهيابة المركز

***

وبعد فان كل هذا قليل اذا قورن بالروح السامي الذي اتصف به صديق بك في دائرة التوفيق بين الوطنيين والاجانب من اعضاء القومسيون فقد كان هذا التطور الذي احدثهُ سعادة مدير البلدية في زمن قصير ومهارة لا نظير لها فوزاً مبيناً لمبدأ عمراني وانساني معاً ، هو

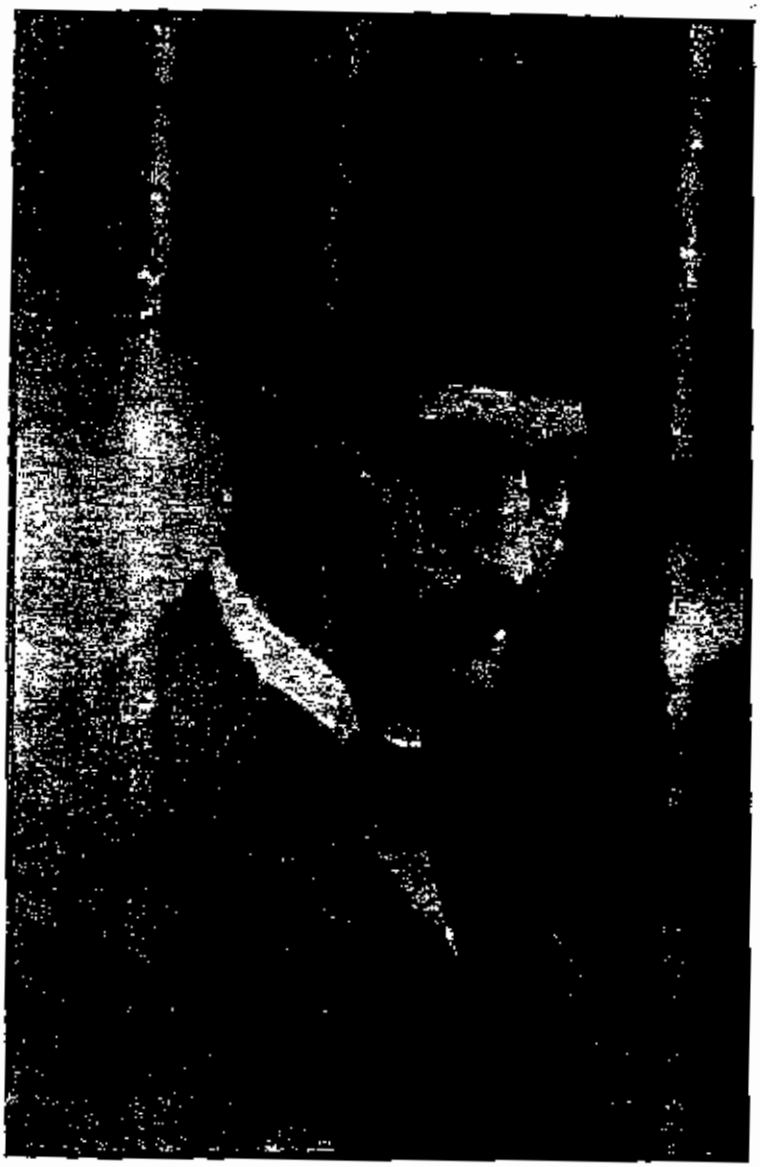

احمد صديق بك مدير بلدية الاسكندرية

مقتطف مارس ١٩٣٣ تمام صفحة ٣٤٣

مبدأ الترقي . وما كان من الممكن السير بأعمال البلدية وتحقيق الاصلاحات اللازمة لمدينة والنهوض بها دون تحقيق هذا التطور

ولقد ادّى صديق بك هذه المهمة الشاقة المجيدة لخير المدينة والاهلين من كل الاجناس . ولما سادت الصبغة الوطنية ادارة البلدية عُدَّ ذلك فتحاً جديداً لمبدأ الذي يسترشد به المدير الشاب في اعماله ، مبدأ التوفيق والقضاء على المناقضات واسباب الارتباك . ولما لوحظ صلاحية هذه البذور في تربة البلدية لمهدها الجديد ، وانها تنبت نبتاً حسناً شرع في اصلاح الاحياء الوطنية وكان حظها من عناية صديق بك عظيماً . وحسبنا ان نراقب ما تحقق من هذه الاصلاحات كتعميم المجاري والعيادات الصحية ومستشفيات الولادة والحميات ومساكن العمال وحمامات الفقراء ومطاعمهم . وكان صديق بك حين تولى ادارة البلدية كان يحمل برنامجاً معيناً او خطة للاصلاح قد وضعها من قبل على ان الذين يعرفون مدير البلدية وانه الرجل الذي لا يكاد يخطىء اذا ارتجل رأيه لا يسمون برجود ذلك البرنامج وان صديق بك اذا كان منقاداً في كل ما وافق عليه من الاصلاحات الى ارادته الحسنة ورغبته الصادقة في اداء عمل انساني خالد . ولم يكن في كل ما حققه ميالاً الى الضجة او الاعلان بل كان عطفه على الفقراء ، وحبه الجم للعمل الانساني ، يوازي تواضعه وانهُ انما عمل لكي يرضي ضميره ويؤدي عناصر المهمة الثقيلة الملقاة على عاتقه . فهو مثل للرجال الذين يشعرون بقبحاتهم

اما آيات التجميل التي تنسب الى عهد صديق بك والتي تحوّل بها شكل المدينة القديمة وازداد رونقها وبهاؤها فانما تنسب الى ذوق مدير البلدية المثقف المهذب الذي يحمل في ذهنه صوراً شتى من صور العمران ، وما خلقته المدنية الحديثة من البدائع في تجميل المدن وتهذيب رسومها ونظمها ، وقد وضع بذلك القاعدة لتجميل عاصمة القطر الثانية . وقد شهد بحافظ لانكشير بأنها ستكون ذات شهرة عالمية وتوشك ان تسترد مجدها القديم

وكذلك لم يترك ذكاء صديق بك شيئاً في الادارة التي صبغ بالصبغة الوطنية او المدينة التي جعلها آية في الابداع دون ان يترك مثلاً للتجديد

***

اما تمثيل البلدية اخيراً في مؤتمر البلديات فقد اضاف مجداً آخر الى شخصيته الممتازة فقد اعلن عن مصر التي تسير في سبيل الترقي بخطوات الجبابرة ، وكان في صوته لدى ذلك المؤتمر تلك النغمة الحبيبة الى قلوب العمرانيين ، والتي تعرب عن الاشتراك والتضامن

نقولا شكري

لبلوغ المثل الأعلى

باب شؤون المرأة وتدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نعرج فيه على كل ما يهم المرأة وأهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الصحة والطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة أو سير شهيرات النساء ونهضتهن ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الغاية من الزواج

للفيلسوف الاجتماعي الانكليزي هفلوك إليس (١)

ما الغاية الشرعية من الزواج ؟ نحن نعلم ان بعض الرجال يرغبون في الزواج لمجرد الحصول على مسكن رخيص وخدمة بيتية منتظمة وان بعض النساء يقبلن على الزواج حتى يجدن من يحميهن في الوقت الذي لا يستطعن فيه حماية انفسهن .. هاتان الغايتان — اتفقتا مع قوانين الاخلاق أو تعارضتا — لا نستطيع ان نقول انهما الغرضان الاساسيان من الزواج

وإذا قلنا ان الغاية من الزواج » فانما نقصد ما يرمي اليه الرجال والنساء الذين يعيشون عيشة متحضرة ، واذا كتبنا في هذا الموضوع فذلك لاننا نحاول مخلصين ترقية تلك المعيشة المتحضرة

والغالب هو ان الغرض الاول من الزواج الحصول على النسل وتربيته الى ان يستطيع وقاية نفسه بنفسه ، وعلى هذا الاساس يشترك الانسان مع الثدييات جميعاً بل ومع معظم الطيور ، فاذا ما تغاضينا عن الغايات الثانوية وجدنا ان هذه الغاية — وهي الحصول على النسل وتربيته — ليست الاولى فقط بل والغاية الوحيدة لجميع الصلات الجنسية في قبيل الثدييات

ولما كانت وظيفة الغريزة هي المحافظة على نفسها وإشباع رغبتها فان الاشباع حيلة من حيل الطبيعة وليس غاية في ذاته ، والا فما هي الوظيفة المفيدة التي تؤديها الغريزة في الاوقات التي لا يستطاع الحمل فيها ؟ ودليلنا على ذلك ان الانثى في بعض الحيوانات تمارس الرغبة الجنسية في فصل الاخصاب فقط وان هذه الرغبة تنقطع عند حدوث الاخصاب بينما الامر على الضد عند الذكر الذي لا تحد رغبته الجنسية في تلك المدة القصيرة التي ابتكرتها الطبيعة للانثى حتى

(١) منخبة من كتاب Essays in Love and Virtue

تتيح لها فرصة الحصول على الذكر المناسب في الوقت المناسب . وعلى هذا فرغبة الذكر في الحصول على الانثى التي لا تزال باقية عند بعض الانواع الانسانية ليست نتيجة الشهوة او الاسراف الشخصي ، وليست نتيجة « التفجور في اشباع الرغبات الجسدية او الشهوات البدنية كما في الوحوش » بل هي عمل من اعمال الطبيعة غرسته لفائدة الانثى حتى تحصل على الغرض الاساسي من الزواج وهو التناسل

وهذه الغاية الاولى نستطيع ان نسميها الغاية الحيوانية ، وهي كما قلنا ليست الغاية الاولى عند بعض البدائيين فحسب بل والغاية الوحيدة ايضاً . وانت تعرف ان فكرة الحب بأعمق معانيها لم تنشأ الا في بطء شديد . ومع ان بعض الهمج يستعملون كلمة او كلمات تدل على متعة الحب من الناحية النفسية الخالصة فان بعض السلائل الاوربية لم تفهم هذا المعنى الا مؤخراً ، فشعراء الاغريق القدماء لم يدركوا قيمة الحب في الزواج حتى ان « تيوجنيس Theognis » قابل بين الزواج وتناسل الماشية ، وجاراهم في ذلك الرومان أيام الجمهورية ، وقد اعتبر اولئك وهؤلاء التناسل غاية الزواج وان كل ما عداه شهوة حقيرة يجب الا تمارس بحال ، واذا كان لا بد من ممارستها فان ذلك يكون خارج حدود الزواج ، وأتى بعد ذلك قرنان من الزمان احتفظ الناس فيهما بكثير من الآراء البدائية وقدسوا فكرة الاغريق والرومان ، ثم جاءت المسيحية وحاولت ان تتوسع في تطبيق هذه الفكرة فخيّرت الناس بين العزوبة من جهة والزواج بغية الحصول على النسل فقط من جهة اخرى

ومع هذا فقد نشأت من زمن سحيق في تاريخ الانسان وظيفة جديدة للصلة الجنسية وما زالت تنمو حتى اصبحت احدى الغايات الكبرى للزواج ، وإذا كانت القوة الجنسية الدافعة عند ما تستيقظ في الحيوان — والانسان أحياناً — تأخذ في وصولها الى المخ طريقاً قصيراً وسريعاً فاننا نعلم أن المخ الانساني بملكاته جميعاً قد تطور من جراء الصعاب الكثيرة التي ألقيت في سبيل الحياة الجنسية حتى أن القوة الدافعة الى الحياة الجنسية أصبحت تسير في طريق طويل وعر قبل أن تصل الى غايتها ، ومعنى هذا أن الجنس Sex أخذ يختلط بالعواطف الراقية والمجهودات النبيلة والخاطرات السامية في كل مناحي الحياة بل وأخذ يشترك مع الفن والدين حتى اصبحت الغريزة الحيوانية البدائية التي كانت لا تعنى بغير التناسل عامل الاهام في جميع هذه المجهودات النفسية التي تفخر الحضارة بها

وهذه الغاية كما رأينا محصول جانبي ، وكما ان المحصول الجانبي قد يأتي عليه حين من الدهر يصبح فيه اهم من المحصول الاساسي فكذلك اصبحت هذه الغاية الثانوية اسمى من الغاية الاساسية . ومثل الغريزة الجنسية في ذلك كمثل الكف التي تطورت من الذراع ولم تكن لها من وظيفة سوى الحصول على الحاجيات المادية ولكن الانسان استطاع ان يجعل لها وظائف ثانوية

كالتوقيع على الشيكات او الكمبيالات الى غير ذلك من الاعمال التي يعدها البعض اسمى من الوظيفة الاساسية . ولكننا مع هذا لا نستطيع ان نغفل ان المحصول الجاني يصاحب المحصول الاساسي في معظم الاحوال ، ولا نستطيع ان نغفل ان هذه الغاية الجديدة للزواج تسمو على اختها وتضيف اليها عنصراً انسانياً مقدساً مما يجعلنا نطلق عليها «الغاية الروحية للزواج»

ولسنا نعني بكلمة «روحية» صفات غامضة فيما وراء الطبيعة ، ولكننا نقصد جميع التفاعلات الذهنية والشعورية التي اخذت تظهر وتقوى في التطور الانساني ، ولسنا في حاجة لان نسرد لك عناصر هذه الغاية الروحية للصلات الجنسية لان المفروض ان وراء هذه الغاية كل ما يجعل الحب الجنسي فنًّا جميلاً فيه من السرور ما فيه . وعليك ان تتناسى تقاليد الجمال التي ورثناها عن القدماء والتي تعمينا عن المعنى الحقيقي للسرور ، والتي لم تكن تبصر غير ما فيه من شر ، واذكر ما قاله رومان رولان «السرور مقدس كالالم» بل واذكر ما قاله جيمس هنتون James Hinton «السرور ابن الله ... انه ينبع كثير من التقوى ...» وهذا حق لان الطاقة الجنسية يمكن حبسها وتحويلها الى النواحي الفكرية والمعنوية ، ولان السرور ، والسرور الجنسي بنوع خاص اذا أحسن استعماله اصبح المحرك والدافع الى كثير من المجهودات السامية

هذه الغاية الجديدة تحل مشكلة العفة وتأخذ بالحجة اولئك الذين يقولون ان العفة هي الامساك عن الرغبات الجنسية لما بينها وبين الشهوات الحيوانية من صلة ناسين ان الاتحاد الجنسي الذي يقوم على حاجة النفس والجسم معاً يعمل على المحافظة على صحة الكائن الحي وتوازنه ، ناسين ان الاتحاد الذي يقوم على حاجة النفس والجسم معاً يمحو الانانية من الفرد ويجعله يدرك ان لذته وسروره في لذة رفيقه وسروره ، ويجعله يدرك المعنى الروحي الذي يقرب بين الاجسام بل وبين الارواح ايضاً ... واليك ما تقوله احدى السيدات في هذا الصدد (١) «اني اعد جميع تعاليمي الجنسية للاطفال والشبان على اساس ما في الجنس من جمال وقداسة . . الاتحاد الجنسي هو اقدس ما في الحياة»

واننا لنشفق على أولئك الذين لا يستطيعون تقدير الغاية الروحية للزواج والذين يبرهنون على دعواهم بما عند الحيوانات الدنيا كأن علينا أن نقلد هذه الحيوانات وأن ننسى أن الطبيعة قد أنفقت ملايين السنين حتى خرجت بالانسان من دائرة الحيوان الضيقة ، ولسنا نشك أن هؤلاء الناس لا يزالون يعيشون في العصر الحيواني وأن عليهم أن يدرسوا اوليات الحب ، وقد رأينا نموذجاً منهم في شخص « قس سذرك » الذي مثل أمام اللجنة التومية التي عقدت منذ أعوام قلائل والتي نبطها دراسة مسألة نسبة المواليد وما يتفرع عنها فقد صرح هذا الرجل بأن التناسل هو غاية الزواج التي لا غاية وراءها وان كل ما عداها ما هو الا اشباع

(١) من رسالة شخصية لـ Olive Schreiner

الرغبات الشخصية الحقيرة ؛ ولعل أبلغ ردّ هو عدم وجود فرد واحد من أعضاء هذه اللجنة يشاركه فيما ذهب إليه . . .

ولسنا في حاجة لأن نبين لك مقدار الصلة الوثيقة بين هذه الغاية الجديدة لتزواج وبين التحكم في النسل اذ من دونه لايكون لها وجود ، وقد سمعنا من يعارض في هذا التحكم ومن يعتبر الأدوات التي تستعمل في سبيله قبيحة بعيدة عن طبيعة الجمال البعد كله ، على أننا نذكر هؤلاء بأننا لن نستطيع الدخول الى العالم الروحي الا عن طريق العالم المادي ، وقد شبه «فوريل Forel» تلك الأدوات بالنظارات ، فهذه النظارات ليست من الجمال في شيء ولكنها تجعل من يضعها على عينيه قادراً على التغلب على النقص الطبيعي بل وتجعله أقدر على رؤية الأشياء وأكثر شعوراً بما فيها من روعة وجمال وتأخذ بيده الى العالم الروحي لانه من غيرها يجد الحياة كتاباً مغلقاً

وفي الحق أن التحكم في النسل اثر في كثير من مناحي حياتنا الاجتماعية لانه يحد من عدد أفراد الأسرة ويخفف الضغط عليهم وبفيدهم وخصوصاً الأم ، ثم هو يعطي الآباء فرصة التدبير في أمورهم واختيار الوقت المناسب والظرف الملائم لانجاب الذرية ، أضف الى ذلك أنه مفتاح التقدم اليوجني الذي يسعى الى تحسين النوع البشري ؟ عبد الحميد يونس

العفن غذاء ودواء[1]

اذا قدّم لك امرؤ لقمةً من خبز غشيهُ العفن الاخضر لتأكلها ، فلا شكّ ان نفسك تتقزز. بيد انك ربما لاتلبث هنيهة حتى تستمرىء قطعة جبن « روكفور » من صنع العفن عينه . أفليس ذلك من المستغربات ؟

وقد اماط العلماء من عهد قريب اللثام عن حقائق عدة بشأن العفن، وهو النامية النباتية الغريبة التي تظهر للرائي بمظاهر شتى تعد بالالوف . وما ايقنوا من تلك الحقائق الباهرة حتى جعلوا يستخدمون العفن في توليد مواد نفيسة وذلك بنفقات زهيدة . وهي المواد نفسها التي كانت تصنع بالوسائل الكيماوية وكانت تقتضي نفقة ومشقة

ومن الحقائق التي كشف غوامضها اولئك العلماء الاعلام : ان العفن على تباين انواعه غير سامّ ولو ان مظهره على الدوام ينمّ على اضراره الجسيمة. اذ استدلوا من مباحثهم على ان العفن اذا أُحكم تذليله امكن استخدامه بمثابة عنصر حيوي لتحسين صحة الجنس البشري او زيادة رخائه

(١) من مجلة العلم العام

والعفن يتخلل كل شيء ، فلامناص من اكله واستنشاقه !! اي انك اذا غمست شطر احد مصانع مياه الصودا (كازوزة) لتروي شفتك بقدح منها فانك انما تشرب بعضاً من تقيح محتوٍ على حامض ليونيك وهو من منتجات العفن العامة

وقد تحتوي خميرة العجين على نامية نباتية تشبه العفن الذي يعرو الخبز العيشم . وان كنت من يستطيبون أكل صفي الجبن الفرنسي الروكفور والكامنبير فانك كلما اكلت شيئاً منها تناولت انواعاً من العفن عن طيب خاطر . ولقد ثبت طبياً ان العفن حليفٌ غير منتظر في علاج المصابين بنقص مقدار الجير في دمائهم ، وهو داء يشبهُ فقر الدم (انيميا)

ولما كان من الضروريات عند نسج بعض الاقمشة الرقيقة تشبيع خيوطها بالنشا ونحوه من المواد الكيماوية فصد تقويتها تسهيلا لعملية النسج والحبك ، تعين على ارباب المصانع استخدام عدة انواع من العفن لتوليد الازيمات (خمائر ذائبة تتولد في جسم كائن حي وهي مادة غروية تفرزها الخلايا وتحدث تغيرات كيماوية) لتلتهم تلك المواد الغروية وتهضمها حتى تنقى الاقمشة وتتركها قشيبة لكيلا تتأثر مما يجري عليها بعدئذ من عمليات الغسل الشديدة بالآلات

والمعروف ان الانتفاع بالعفن في الاعمال الصناعية والطبية والزراعية هو من المكتشفات التي تمت بطريق المصادفة . وقد كان لعلماء الزراعة في الولايات المتحدة القِدح المعلّى في وقف التلف الذي كان يطرأ على النباتات والاغذية من العفن فصانت بتلك الوسائل ملايين الجنيهات التي كانت تنفق جزافاً كل سنة لمكافحة العفن . وكان من عهد حديث كيماويان من مونتلي وزارة الزراعة وهما المستر هوراس هريك وأرثيل ماي يمارسان أعمالها في واشنطون في تحضير الحامض الطرطريك من انواع العفن ، فوفقا لمعلومات خطيرة لم تكن في الحسبان اذ قاما بعمل ١٥٠ تجربة في انواع شتى من العفن فاخفقا في ١٤٩ تجربة منها ونجحا في التجربة الاخيرة فقط إذ انتج لهما تحضير الحامض الجلوكونيك الذي ساعد الاطباء في علاج جلالة ملك الانكليز لما مرض من نحو ثلاث سنوات . وقد كان هذا العقّار قبل ذلك نادر الوجود غالي الثمن . ويتسنى لنا ان ندرك مبلغ خطورة هذا الاكتشاف اذا علمنا ان نفقات تحضير ذلك الملح النفيس بطريقتهما من زريعة العفن ، قد خفضت نفقات صنعه من ١٥٠ ريالاً للرطل في الطريقة القديمة الى نصف ريال فقط للرطل الواحد بالطريقة الجديدة . وتعتبر جلوكونات الجير التي تحضر من الحامض الجلوكونيك الذي ينتج من العفن بحسب طريقة وزارة الزراعة الاميركية ملح الجير الفذ الذي يمكن حقنهُ في عضلات المرضى المصابين بفقر الجير في دمائهم من غير ان يحدث فيهم دمامل وقد يتيسر حقنهُ ايضاً في مجاري الدم او تناوله بطريق الفم

وقد نشرت وزارة الزراعة في هذا الموضوع تصريحاً مفاده أن أملاح الجير التي تحضر من العفن لا طعم لها حقيقة . فهي من هذا القبيل تناقض جميع انواع تلك العقاقير

ومن مزايا العفن كثرة انواعه حتى ان الخبراء الذين قضوا أغلب أيام حياتهم يبحثون ويجربون الانتفاع به ، لا يستطيعون حصر اشكاله . والعفن من النباتات الغامضة الدقيقة جداً فلا يسع المرء رؤيتها بالعين المجردة . ويظهر العفن بمظاهر شتى وفي اماكن عدة يعجز الباحث المحقق عن ادراك كنهها

وألوان العفن عديدة كألوان قوس قزح ودرجاتها كثيرة . فالعفن الاخضر الذي يفسد خبزك اذا حرنته زماً طويلاً هو نفسه الذي يستخدمه صانعو الجبن المسمى بروكفور

اذن يعتبر العفن من الاشياء الغامضة التي ظاهرها يناقض حقيقتها لان صناع الاطعمة ينفقون ألوف الريالات كل سنة في سبيل دفع جوائح العفن التي تعتري مصنوعاتهم الغذائية التي ترسل بالسفن الى الاقطار النائية

ومنهم فريق ينفق ما هو اكثر من ذلك كل سنة في تغذية العفن لكي يولد لهم حاجلاً (بطفيف النفقات) المواد التي يحتاجون اليها مما كانوا يحصلون عليه قبلاً على مدى الزمن بلا مساعدة العفن . ومن الغريب ان العفن مع قبح منظره ليس سامًّا فقد قرَّر الدكتور تشارلس توم الموظف في وزارة الزراعة في واشنطون ، وقد قضى سبعاً وعشرين سنة في دراسة العفن ، انهُ هو وغيره من الباحثين قاطبة لم يعثروا على نوع سام من انواع العفن

وتأييداً لذلك ذكر حادثة شاهدها بنفسه وهي ان بعض الجياد علفت بزمير دبَّ فيه الفساد فكانت تستطيبه ولم يؤثر في صحتها مطلقاً

ومن العفن ضرب يأكل اللحوم . وقد يلجأ الكيماويون حين يرغبون في تربية زرعات العفن الى تغذيتها بالعصيدة النباتية (مادة غروية تحضر من أعشاب بحرية باسيوية تستعمل في تحضير الزرعات للأعمال البكتيريولوجية) والنشا وغيرها من العناصر الغذائية المألوفة . وقد تغذَّى بعض أنواع العفن بغيرها من الاصناف فتأكلها بارتياح فتسمن . وتسمى تلك الانواع بالعفن المفترس

وطالما كانت الوسائل التي يتوسل بها الى وقاية الاطعمة عند نقلها من قطر الى آخر أو خزنها ، مثاراً دائماً لمكافحة العفن اذ لم يكن مستطاعاً الاطعمة الثمينة المحفوظة في العلب سنة بضع سنين يعرفون الا القليل من طرق وقايتها من الفساد حتى تصل الى الاسواق في الجهات المزمع نقلها اليها بالبر او البحر ثم بيعها فيها ، فرأت وزارة الزراعة الامريكية من عهد قريب أن على عاتقها ارشاد صناع الاطعمة التي يتطرق اليها الفساد الى الوسائط التي تقلل دبيب العفن فيها الى اقل ما يمكن . وتقوم الوقاية بوسائل شتى فقد ظهر في إحدى الحوادث أن صنفاً طريفاً من العفن دبَّ في وسق من البيض عند نقله من باخرة الى اخرى فأصبح مدراً فتكبَّد منتجه خسائر باهظة من فساده . ثم اخذ الباحثون يبحثون عن اسباب ذلك فتبين لهم أن

ذلك البيض تتل في اقفاص مصنوعة من خشب لم يجفف جيداً فعدل المنتج عن استعمالها واستبدل بها اقفاصاً مصنوعة من أجف أنواع الخشب

وحدث في ابان الحرب العالمية أن مليوناً ونصف مليون من أكياس الخازير المملحة كانت مخزونة في ثغر بلطيمور فتعفنت فأمرت الحكومة بتجفيفها عاجلاً فجففت فلم يقو العفن بعدئذٍ على اتلافها

ويرى علماء وزارة الزراعة في اميركا ممن درسوا أطوار العفن عدة سنين أن الثلاجات المنزلية ليست وسائط مانعة من العفن منعاً حاسماً لأن تلك الطفيليات تتكوّن بسهولة عند درجة ٥٠ بمقياس فارنهيت (نحو ١٠° سنتغراد) . ومما لاشك فيه أنه قد اتضح في احدى الحوادث أن شحنة من اللحم البقري نقلت في باخرة فسرت فيها تلك الطفيليات وهي في مكان درجة حرارته ٢٢ فارنهيت أي تحت نقطة التجمد بعشر درجات

اذن التبريد بالثلاجات انما يؤخر تكوّن العفن . ومع ذلك فقد ظهر أن زريعات من العفن عاشت مدة خمس وعشرين سنة بالتبريد تحت اشراف وزارة الزراعة الاميركية . وهذا مما يثبت جليًّا أن العفن من الاشياء التي ظاهرها يناقض حقيقتها

وكل منا يعرف أن المواد الغذائية التي تدخر في الدار ردحاً من الدهر تتعفن ومع ذلك فكل من شاهد الهلام في أثناء تحضيره ووضعه في اطباق (مرتبانات) زجاجية محكمة الاغلاق لابدّ أن يعجب من سريان العفن فيه وظهوره على قمة الحق وهو محكم الاغلاق . فيجيب العلماء عن ذلك بقولهم «ان طفيليات العفن موجودة في كل مكان فهي في الهواء والغبراء وفي كل شيء يمكن ان يلامسه الغذاء فان شئت منع اتساده من التسرب في الهلام او غيره فعليك ان تعقم المرتبان جيداً وتسده سداً محكماً »

ومن الادلة على وجود طفيليات العفن في الهواء على الدوام انهُ قد حدثت في الولايات المتحدة حادثتان بمرض الربو ظهر بالتفحص انهما نشأتا من التأثر بتلك الطفيليات التي تعيش في الجو . وقد وقف على احدث تينك الحادثتين الدكتور هاري برنطون الاستاذ في كلية جورجتون الطبية فأعلنهما الى الجمعية الطبية الاميركية . وكان المصاب في تلك الحادثة شابة اقامت ست سنوات في دار رطبة عفنة ، فقرر الدكتور برنطون ان الغشاء المخاطي في كل من انف الفريسة المشار اليها وحلقها قد تأثر بنوع خاص من طفيليات العفن تأثراً شديداً نجم عنهُ ذلك الداء . ومع ان حوادث الربو التي منشؤها طفيليات العفن لم تزد على اثنتين في اميركا فقد حدث في اوربا اصابات كثيرة من هذا القبيل . ولكن اطباء اميركا قد فطنوا لذلك المصدر المرضي فخصوه بفائق عنايتهم عند علاج المصابين بالربو . وقد درس الدكتور برنطون ما لا يقل عن ستة عشر نوعاً من طفيليات العفن في اثناء البحث التي قام بها في المرضى المصابين بالربو

ابتغاء حصر النقاب عن مصادر اصاباتهم

ومما يؤيد ايضاً وجود طفيليات العفن في الهواء دائماً كون المصانع التي تصنع الجبن الكامنبير تضع الجبن الطري في حجر التجفيف حيث يجتمع على سطحها العدد اللازم لذلك التجفيف من طفيليات العفن . ومن جهة اخرى فان التناقض الذي يحدث من طفيليات العفن يتبين جلياً من طريقة تحضير الروكفور وذلك لان هذا الصنف يجب حقنه بطفيليات العفن قبيل تجفيفه . وسبب ذلك الاختلاف في التفاعل الكيماوي الذي يحدث من طفيليات العفن أن الروكفور لابدَّ ان يتخللهُ العفن من كل جانب بينما الكامنبير لا يحتاج الاَّ الى تعفن سطحهِ ، وان طفيليات العفن التي تستخدم في تينك الحالتين تختلف أجناسها بعضها عن بعض . ولذا يختلف مفعولها اختلافاً بيّناً

غير أن طريقة تمييز أنواع طفيليات العفن بعضها من بعض التي يتبعها الباحث (اذا تعيَّن عليه فصل كل طائفة عن غيرها) لابدَّ أن يخترعها بنفسهِ . أما في وقتنا هذا فان التمييز يكاد يكون مقصوراً على المقابلة بين الطريقة التي تتبعها كل فصيلة على حدتها في نموها وتوالدها مخالفة بذلك غيرها وكل صنف من اصناف العفن تتولد منه أنواع ممتازة عن غيرها ، والخلايا النباتية كالعفن تنمو نمواً مشابهاً من كل الوجوه لنمو النباتات الكاملة النمو

اما وجود طفيليات العفن في الارض فقد اعترف بهِ العلماء المختصون وهم يقولون ان كل غرام من التربة يحتوي على عدد يتراوح بين ٥٠٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠٠ ذرة من العفن . وقد تكون تلك الذرات عبارة عن خلايا مفردة دقيقة جداً بحيث لا ترى بالعين المجردة ، او تكون على هيئة مستعمرات كبيرة تبلغ حجم أنملة إبهام الكف . اذن يكاد يكون من المستحيل على الباحث تقدير عدد خلايا العفن التي قد توجد في ذرة واحدة من ذرات التربة

ولذا كانت معضلة العفن من اعرض المسائل العلمية لانهُ بينما يعتبر من اشد اعداء الانسان فانهُ يعدُّ من وجهة اخرى من أخلص أصدقائهِ التي تنفعهُ نفعاً لا يقدَّر . ومع كون العفن من الاجسام الدقيقة جداً التي لا ترى بالعين المجردة الاَّ ان بعض الطوائف التي تنتمي اليهِ لذيذة الطعم ومن مظاهرها التعفن الذي يعتري الاقمشة فيتلفها ولكنها (الطفيليات) إذا استخدمت لهضم المواد الغروية الكيماوية التي تتغذى بها المنسوجات صانت القماش من التلف وعلى حين كون العفن سبباً لمرض من أشد الامراض ونعني به الربو (الذي يعيق حركة التنفس) نراه مصدراً لعقار ضروري لمقاومة امراض اخرى

ومتى حددت اصناف العفن التي تعدُّ بالالوف تحديداً نهائياً اصبح من الميسور ليس مكافحة العفن نفسه فحسب بل تحويله الى منافع ينتفع بها العالم في وجوه جمة لا يحلم بها اكبر الباحثين في هذا الزمان

عوض جندي

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً ترقياً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن الهفوة فيما يدرج فيه على اصحابه فيض براء منه كله. ولا نخرج عما خرج عن موضوع المقتطف. ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي: (١) التناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فالناظر نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل. فالمقالات الوافية مع الايجاز تفضل على المطولة

اغلوط كتاب الزهرة

صديقي محرّر المقتطف الاغر

أخذت عن استاذي المفضال المسيو وليم مرسيه W. Marçais الغرام بتصحيح الكتب الادبية، فكان لي من ذلك متعة عقلية، تشحذ الذهن، وترهف الذوق، ولا ازال — وسأظل كذلك ما حييت — طالب علم، وما امتدّ بي الزمن الاّ وشعرت بالرغبة القوية في الدرس، وأرتني الايام اني عرفت من الأدب شيئاً وغابت عني اشياء

وموضوع هذه الدراسة هو تصحيح كتاب الزهرة لابن داود الاصفهاني الذي نشره الدكتور لويس نيكل، نقلاً عن النسخة الوحيدة المخطوطة في دار الكتب المصرية. ويسرني في بداية هذا البحث أن اشكر ذلك المستشرق الفاضل مرة ثانية بعد اذ نوهت بفضله في جريدة «البلاغ» يوم ظهر الكتاب

ولنذكر في هذا التمهيد أننا سنعرض لجميع ما يظهر لنا من الاغلاط، لأن هذه هي السنة التي جرى عليها المستشرقون في التصحيح، ولأن من القراء من يحتاج الى التنبيه على الغلط وان كان يسيراً، وسنثبت ما لم نهتد الى كشفه لتمكين القراء من معاونتنا على تصحيح ما لم نهتد الى تصحيحه، فليس المجال مجال تعالم ومباهاة، وانما هو درس نزهة عما يعرض لطلبة العلم أحياناً من الزهو والخيلاء، والله سبحانه ولي التوفيق. فأرجو ان تفسحوا لهذا البحث مجالاً في المقتطف ولكم الشكر

* * *

١ — قال ابن داود في ص ٢ «وقد وقفت على ما وصفته من تصاريف الازمان، وخيانة

الاخوان » وضع الناشر ضمة على التاء في (وصفته) والصواب الفتح : لان المؤلف يتهم محبوبه بالتجني ، بدليل قوله عتب دلك . « واعلم — ايدك الله ! — ان من عجيب ما تحضره الايام ظالم يتظلم ، وغاو يتندد ، ومطاع يستظهر ، وغالب يستنصر ، ما الذي تنكر — أدام الله عزك ، وبسط بالخيرات يدك ! — من تغير الزمان وانت من مغيريه ، ومن جفاء الاخوان وانت المقدم فيه » الخ

٢ — وفي صفحة ٣ قال ابن داود « واعلم — ادام الله تأييدك — أن المرتضين من الاخوان معدومون في هذا الزمان ، وانما بقي قوم يتعسفون ولا يُنصفون ، ان بسطتهم لم يهابوك ، وان احشمتهم اغتابوك »

ضبط الناشر كلمة « المرتضين » بكسر الضاد على انها اسم فاعل ، والصواب الفتح : لانها اسم مفعول

٣ — وفي الصفحة نفسها قال : « لا يزهى عليك عند حاجتك اليه ، ولا يرغب عنك عند رغبتك عنهُ وحيفك عليه »

ضبط الناشر (يزهى) بالبناء للفاعل ، وهي لغة قليلة ، والارجح بناؤها للمفعول

٤ — وفي ص ٥ قال ابن داود : ثم ختمتها بذكر الوفاء بعد الوفاة ، وبعد ان اتيت على ذكر الوفاء في الحياة » . وارى ان تحذف الواو من كلمة (وبعد)

٥ — وفي ص ٧ قال بعض الظرفاء من أبيات

ليس أمر الهوى يدبّره الرأي ولا بالقياس والتفكير

وعبارة (يدبّره الرأي) محرفة ، والصواب : « يدبَّر بالرأي »

٦ — وفي ص ٨ وقعت هذه العبارة : « خرجت حاجًّا فلما مررت بفناء تداعى الناس ألمًّا وقالوا : أقبلت للعقيل ، فنظرت فاذا جارية كأن وجهها سيف صقيل . » الخ

وكلمة « ألمًّا » من (تداعى الناس ألمًّا) محرفة ، والصواب (لُمًّا) جمع لمة . بمعنى جماعة ، وهي كلمة لا تزال مستعملة في لغة التخاطب ، ويراها المطالع كثيراً في مؤلفات أهل الأندلس وخاصة في الذخيرة وطوق الحمامة ، واهل مصر ينطقونها بالفتح . والفيروزابادي يضمها ويفسرها بالصاحب أو الاصحاب في السفر ، والمعنى ان الناس تنادوا أفواجاً لرؤية تلك المرأة العقيل

٧ — وفي الصفحة عينها قال الشاعر

والعين ملهًى في اتّئاد ولم يقد هوى النفس شيئاً كاقتياد الطرائف

أثبت الناشر (شيئاً) بالنصب . وأؤثر أن أقرأ (شيء) بالرفع ، وقد وردت مرفوعة في رواية صاحب الحماسة

٨ — وفي ص ٩ قال العديل

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى اذا عطلن فهن غير عواطل
واذا ختلن خدودهن اريننا حدق الظبا وأخذن نبل القاتل

وكلة (ختلن) في البيت الثاني لها وجه ، فقد تكون الختل بالكسر وهو الكبر ، ورواية الحصري في (زهر الآداب) . واذا خبأن خدودهن ... وهي أوضح

٩ — وفي ص ١٠ قال « عمرو بن الأبهم » أثبت الناشر (الأبهم) بالباء الموحدة . والصواب ان يكون بالياء المثناة من تحت ، وقد ورد صواباً في فهرس الاعلام

١٠ — وفي صفحة ١١ قال الشاعر

اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فأنفذن القلوب ولا ترى دماً ما ترى الا جوى في الحيازم

الشاهد في البيت الثاني . وأحب أن أقرأ : (فلا ترى) في مكان (ولا ترى) ورواية المبرد (فلم تجد) وقوله (دماً ما ترى) محرفة . والصواب : (دماً ماثراً) من مار الدم يمور موراً سال

١١ — وفي هذه الابيات

أصد وما الصد الذي تعلمينه عن ابنا الا اتباع العلائم

والشطر الثاني محرّف . والصواب ... عزاء لنا الا ابتلاع العلائم

ورواية المبرد شفاء) في مكان (عزاء) وقد آثرنا رواية الحصري لأن (عن ابنا) تحرّف عن (عزاء لنا) لا سيما اذا لاحظنا ان نسخ زهر الآداب حفظتها (عزاء بنا)

١٢ — وفي صفحة ١١ قال عمر بن ابي ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت اقبلت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

وكلمة (زهاها) لها وجه ، ورواية القالي : (زهاها) وهي اجود

١٣ — وفي صفحة ١٢ قال كثيّر

أصابك نبل الحاجبية انها اذا مارمت لا يستبلّ كليمها
لقد غادرت في القلب مني امانة وللعين عبرات سريع سجومها

اثبت الناشر كلمة (امانة) وذلك تحريف . والصواب (زمانة) ومن معاني الزمانة الوجدُ الدخيل

١٤ — وفي ص ١٣ قالت ام حماده الهمدانية :

اني لأعجب من قلب يكلفكم وما يرى منكم برّاً ولا لطفا

وضع الناشر كسرة تحت اللام من (يكلفكم) والصواب الفتح على البناء للمفعول

١٥ — وفي ص ١٤ «اخبرنا ابو بكر محمد بن اسحاق الصاغاني»

اثبت الناشر (الصاغاني) بالعين المهملة ، والصواب ان تكون بالغين المعجمة ، نسبة الى

(صفانيان) كما نصّ ياقوت في الجزء الخامس من معجم البلدان

١٦ — وفي ص ١٥ قال ابن داود (فانه اذا كان كذلك كانا صاحبا المولدين مطبوعين على مودة كل واحد منهما لصاحبه). وعبارة (كانا صاحبا المولدين مطبوعين) تعرفي لغة ضعيفة والارجح افراد الفعل

١٧ — وفي صفحة ١٧ قال ابن داود : «ومع فساد الفكر تكون العدامة ونقصان العقل ورجاء ما لا يكون». وكلمة «العدامة» بالعين المهملة طاوجه، وربما كان الأفضل ان تقرأ «الغدامة» بالغاء

١٨ — وفي ص ٢٠ قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

تغلغل حب عتمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

اثبت الناشر (عتمة) بالتاء المثناة من فوق ، والصواب (عثمة) بالثاء المثلثة . وقد وردت كذلك في ديوان الحماسة

١٩ — وفي صفحة ٢١ قال ابن داود :

سأعرض نفسي عتمة وشآمة على كل ثاو في البلاد شاخص

ينبغي ان تقرأ «وشاخص» ليستقيم المعنى والوزن

٢٠ — وفي الابيات نفسها قال :

امثلي يخون العهد عن غير حادث وما بي اذاً زَبَنى بحتف معانص

وعبارة « ما بي اذاً زَبَنى » طمست طمساً شنيعاً . . والصواب « رماني اذاً ربّي »

٢١ — وفي ص ٢٢ قال يزيد بن الطثرية :

أعيب الذي أهوى وأطري جواريا يرين لها فضلاً عليهن بيّنا

وكلمة (الذي) محرفة ، والصواب (التي) وهذا واضح

٢٢ — وفي ص ٢٣ قال عمارة بن عقيل

ورمى الهوى منا القلوب بأسهم رمي الكماة مقاتل الأعداء

ومن العجائب قتله لكرامنا وشدادنا بمكائد الضعفاء

أثبت الناشر « مكائد » ممدودة ، والصواب « مكايد » لأن الياء في «مكيدة» أصلية لازائدة ، ومثلها معيشة ومعايش

٢٣ — وفي ص ٢٤ قال الحسين بن مطر

اذا ماصرفت القلب في غير حبها اذاً حبُّها من دونه يتعرض

وكلمة «اذاً» محرّفة والصواب : «اني»

٢٤ — وفي ص ٢٥ قال ابن داود : وان كان لم يدخل في الهوى مختاراً وانما وقع به اضطراراً فقد اخطأ اذ سمى ما هو موجود في طبعه مفارق لنفسه باسم البلوى التي تعرض له وتنصرف عنه ». وكلمة «مفارق» محرفة ، والصواب «مقارن»

٢٥ — وقال في الصفحة عينها تعليقاً على قول ابن مطير

خليلي هوى غيري لا يسرني وان كان يلوى انني لك مبغض

«واما اخباره بانه لا يُسَرّ بأن يكون مبغضاً لها فكلام لو سكت عنه كان أولى . أو أن يكفه أنه مبتلى عند نفسه بهواها حتى يريد مع ذلك أن يكون مبغضاً مائلاً الى سواها »

وعبارة : «او أن يكفه» محرفة ، وصوابها : « أوَ ما يكفيه»

٢٦ — وفي ص ٢٦ قال احد الشعراء

انا الذي بعذابي ظل مفتخراً هل كنت الا مليكا جار اذ قدرا

لولا الهوى لتحاربنا على قدر وان افق لك يوماً ما فسوف ترى

وعبارة : « ان الذي » محرفة . والصواب : « يا اذا الذي » وقد شدّد الناشر الدال من (قدر) وهي غلطة مطبعية

٢٧ — وفي ص ٢٨ أنشد المجنون

عجبت لذاك عروة كيف أضحى أحاديثا لقوم بعد قوم

وعبارة: «عجبت لذاك عروة» فيها تحريف، والصواب: «عجبت لذكر عروة» وفي تزيين الأسواق

عجبت لعروة العذريّ أمسى أحاديثاً لقوم بعد قوم

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أناذا أموّت كلّ يوم

٢٨ — وفي ص ٢٩ قال ابن داود: « فاذا كان النظر الصاحي الى الصورة التي يستحسنها طرفه مؤكداً للمنظور اليه المحبة في قلبه كان نظر المحب بعد تمكن المحبة له أحرى ان يغلبهُ على لبه ، ويزيده كرباً على كربه » . وكلة « النظر الصاحي » محرفة ، وصوابها : « نظر الصاحي » ليقابل قوله بعد ذلك : « نظر المحب »

٢٩ — وفي ص ٣٠ قال الحسين بن الضحاك

واتاني مفحم بغرته قلت له اذ خلوت محتشما

تحب بالله من يخصك بالحب فما قال لا ولا نعما

وارجّح ان كلة : « وأتاني » أصلها : « وا بأبي » وكانت في المخطوط « وبابي » فلم يفطن الناشر الى الحرف المحذوف

٣٠ — وفي ص ٣١ قال علي بن الجهم :

ولما بدت بين الوشاة كأنها عناق وداع يشتهي وهو يقتل

أبيت من الدنيا فقلت لصاحبي لئن عجلت للموت أوحى وأعجل

جعل الناشر اللام حرف جر في كلة « للموت » فوضع تحتها كسرة والصواب نطقها بالفتح

٣١ — وفي ص ٣٢ قال مسلم بن الوليد :

أراها فاطوي النصيح عداوة وأحمد عقبى ما جنى النظر الشزر
فلا سيما العذال فيها ملامهم ألستُ اذا لاقيت لومي ولي عذر

وكلة « فلا سيما » محرفة ، والصواب : « فلا يسيء »

٣٢ — وفي ص ٣٢ قال ابن داود :

متى يا شفاء السقم سقمي منقضي اذا ما دواء كان للداء ممرضي
فهيهات ما هذا على ذا بقلع أجل ولا، ولكن مدة العمر تنقضي

ترك الناشر كلة « بقلع » من غير شكل : لانهُ ارتاب فيها ، ولو تأمل لرأى الصواب : « بقليع » اسم فاعل من اقلعت عنهُ الحمّى تركتهُ

٣٣ — وفي ص ٣٤ قال الشاعر

تسليت عن ذكر الحبيب بغيره ومنت اليهِ بالمودة والذكر
فما زادني الاّ اشتياقاً وحرقة اليه ولم املك سلوّي ولا صبري
وما الحب الاّ فرحة ان تكلمها باخرى قرنت الضر منك الى الضر

وكلة « فرحة » بالفاء صوابها « قرحة » بالقاف . وكلة « تكلمها » باللام صوابها « تكأمها » بالهمزة ، من تكأ القرحة قشرها قبل ان تبرأ

٣٤ — وفي صفحة ٣٥ قال الراعي :

بني ولوسي قد سئمنا جواركم وما جعتنا نية قبلها معا

وكلة « ولوسي » محرفة ، والصواب « وابش » واصل البيت في رواية الاغاني (ص ١٧١ ج ٢٠ طبع ساسي)

بني وابش انا هوينا جواركم وما جعتنا نية قبلها معا

٣٥ — وفي الصفحة عينها قال ابو صخر الهذلي :

واني لآتيها وفي النفس هجرها بياتا لاخرى الدهر ما طلع الفجر

و(بياتا) بالباء لها وجه ، ورواية القالي « بتاتا » بالتاء ، وهي اجود

٣٦ — وفي ص ٣٧ قال ابن داود : « قد تمنع المحب هيبة المحبوب من النيل الذي هو اللطف من الشكوى محلاً في القلوب » ... و « اللطف » صوابه « الطف »

٣٧ — وقال في ص ٣٨ : « اذ لو كان الهوى قد استوفى منه حقه ، وتناهى به الى غاية بعدّه ، لما كان اللقاء يزيده شيئاً ولا ينقصه » وعبارة : (الى غاية بعده) صوابها : (الى ما لا غاية بعده)

٣٨ — وفي الصفحة نفسها قال : « وقد مدح الله تبارك وتعالى قوماً فقال (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) فلم يعبهم تعالى بأن كان ذكره يحضرهم مظهراً عليهم ما لم يكن قبل موجوداً منهم »

وكلة «لم يكن» سواها : «لم يكن» و «منهم» قد تكون محرفة عن «فيهم»

٣٩ — وفي ص ٤٠ قال الحسين بن الضحاك :

ايامن طرفه ، سحر ويا من ريقه خمر تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر

وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر فان عنفني الناس ففي وجهك لي عذر

وقد اخبرني الدكتور نيكل انه استعان في تصحيح الكتاب بالشاعر ابراهيم طوقان ليساعده على ضبط الشعر خاصة، اذ كان الناشر ليس من المتفوقين في علم العروض، فليت ابراهيم طوقان عرف ان هذا الشعر لا يقرأ الاّ هكذا :

ايا مَن طرفهُ سحرٌ ويا مَن ريقُه خمرُ

تجاسرتُ فكاشفتك لما غلب الصبر

وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر

فان عنفني الناس ففي وجهك لي عذر

٤٠ — وفي ص ٤١ قال ابو صخر الهذلي

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من ألمم

ما في الحياة اذا هيبت لنا خير ولا للعيش من طعم

ترك الناشر كلة «هيبت» بلا شكل . وتلك طريقته فيما يرتاب فيه من الكلمات ، ومن المحتمل أن يكون الأصل «ضننت» من الضنّ وهو البخل

٤١ — وفي ص ٤٢ قال ابن الدمينة يخاطب أمامة

وأنت التي أحفظت قومي فكلهم بعيد الرضا دائي الصدود كتوم

و «كتوم» لها وجه ، ورواية ابي تمام «كظيم»

٤٢ — وفي ص ٤٨ قال اعرابي

وليس خليلي بالمرجّى ولا الذي اذا غبت عنه كان عوناً على الدهر

ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني ان كان من دون البحر

كلة « المرجى » بالراء وردت في الموشى «بالمزجي» بالزاي المعجمة ، وصديقنا الاديب محمود شاكر يقترح ان نقرأ «بالمدجّي» وكلة دون في البيت الثاني وردت في الموشى «دوني» بفتحة على الياء وبها يستقيم الوزن

٤٣ — وفي ص ٤٥ قال العباس بن الأحنف

واذا بدا سرُّ الحبيب فانه لم يبد الا وهو مغلوب

وعبارة : «وهو» يكسر بها البيت ، والذي أحفظه «والذي مغلوب»

٤٤ — وفي ص ٥٦ قال احمد بن أبي طاهر

مالي أقرب منك لمسي جاهدا وأراك مني جاهدا تتباعد
قدمت دون اخيك من هو دونه وعسيد تعنه وهو منك يعاند

وكلة «منك» تبدو لي محرفة عن «فيك»

٤٥ — وفي ص ٥٧ قال ابن داود : «هؤلاء كلهم ومن جرى مجراهم انما يتضاجرون على خلانهم لتقلهم اياهم عن عادتهم» . وكلة «لتقلهم» بالتاء المثلثة صوابها : «لتقلهم» بالنون

٤٦ — وفي ص ٥٨ قال بعض الأعراب

هجرتك اياما بذي العُمر انني على هجر أيامي بذي العمر نادم
وانى وذاك الهجر لو تعلمينه كعاذية عن طفلها وهي راتم

و «العمر» بالعين المهملة صوابه «الغمر» بالغين المعجمة ، و «عاذية» صوابها «عاذبة» وقد ورد البيتان صحيحين في ديوان الحماسة

٤٧ — وفي ص ٦٠ قال ابن داود : «فهؤلاء الذين قدساعدهم الدهر بصحابهم فاستطابوا المقام على حالهم» . وكلة «الذين» من زيادة الناسخ فليحذفها القارىء

٤٨ — وفي ص ٦١ قال ابو تمام

وفاتن الألحاظ واللحد معتدل القامة والقد
صيّرني عبداً له جسمهُ والطرف قد صيّره عبدي

و «الطرف» بالطاء المهملة وصوابه «الظرف» بالظاء ، يريد الشاعر ان يقول ان خفة روحه جذبت محبوبه اليه

٤٩ — وفي ص ٦٣ قال احد الشعراء

وقصيرة الأيام ود جليسها لو نال مجلسها بفقد حميم
صفراء من بقر الجواء كأنما حفن الحياة بها وداء سقيم

والبيت الثاني عجزه محرّف . وصوابه كما في الحماسة

صفراء من بقر الجواء كأنما ترك الحياة بها رداع سقيم

٥٠ — وفي ص ٦٤ قال العرجي

لقيت به سرٌ ينظرن موعدي وقدماً وفت مني لمن المواعد

وعبارة «سرٌ ينظرن» محرفة ، ولعل الصواب . «سرباً تنظرن»

٥١ — وفي الصحفة ذاتها قال أحد الشعراء

ومجلس لذة لم نقر فيه على شكوى ولا عذر الذنوب

و «عذر» صوابه : «عذّ»

زكي مبارك
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الاميركية

مكتبة المقتطف

ضحى الاسلام

تأليف « احمد امين » الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية — اخرجته لجنة الترجمة والتأليف والنشر بمصر

من اجلّ الكتب العربية التي أخرجت للناس في هذا العام كتاب « ضحى الاسلام » ، وصل به صاحبه الاستاذ « أحمد امين » ما كان بدأ في كتابه « فجر الاسلام » ، وبه نقع المؤلف غُلّة شوقٍ بها أدناه هذا العصر زمناً طويلاً . ويخيّل اليّ أن الاستاذ « أحمد أمين » رجل قد أُوتي من الصبر والجَلَد والمثابرة وقوة العزم ونشاط الفكرة نصيباً وافياً سابقَ به المجتهدينَ من اهل عصره حتى سبقهم وأربى عليهم . وعامة الناس لا يعرفون ماذا يلقى الباحث في التاريخ العربي والادب العربيّ من عناءٍ وعَنَتٍ يبلغان منهُ الجُهْد . فالباحث إن لم يؤتَ مثل ما أُوتي هذا الرجل انقلب الى نفسه بأخسّ النصيبين وأوكس الحاجتين . ذلك بأن التاريخ العربيّ خاصة قد انفرد دون ما دوّن من تواريخ الامم الخالية بالنقص في ناحيتين : اولاهما افتقار آثار جاهلية الجزيرة العربية في اليمن والعراق والحجاز والشام وخُفُوتُ أخبارها وقلّةُ ما دون منها على تشتته في كتب الادب وكتب التاريخ ؛ والاخرى ، اعتماد المؤرخ العربي على الرواية فلم يعنَ بالتعليق عليها وتوضيح ما غمض من اسرارها . ونعتقد انهم كانوا يستطيعون ذلك لو تعمدوه ، وقد تبيّن هذا لنا مما رأيناه لهم من القول في ترجيح رواية على رواية اذا التبس الامر . وثالثة لا ذنب للتاريخ ولا للمؤرخ فيها ، تلك هي ضياع اكثر الكتب العربية التي أُلفت في عصر الرشيد والمأمون او عصر تدوين العلم . وابتلينا نحن من بعد ذلك ببليتين : اولاهما أنْ لم ينتدب احد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار هذه الامة العربية التي طويت في ارضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوى ذلك ، والاخرى ، أن لم يخفّ أحدٌ إلى دراسة كتب العرب ولمّ شتاتها واستخراج ما خفي من اساليب العرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاء في هذا العصر أصحاب الالسنة الاعجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا ودينا بالكلام الجيد تارة ، والفهم الملتوي والتعليل الفاسد تارة اخرى

فأنت حين ترى « احمد امين » يبتدر صادقاً الى هذا التاريخ فيتقلّب فيما بقي من دراسات

طلوله فيما وصلنا من كتبه ما شاء الله ان يتقلب ثم يخرج فيقص عليك من اخباره وقد تقصّى عنها غبار القرون وأحداثها ، وما إخالك ترى من اهل هذه اللغة الا نائماً او مستيقظاً كنائم او صاحب مكيدة مخدوعاً عن رأيه وقلبه ، والا اعجمي اللسان والقلب يلتوي فهمه ولا يستقيم غرضهُ يتعرّض لتاريخ هذه الامة فيصيب ويخطىء ، ويظهر فضلاً ويدس مكيدة... أنت حين ترى هذا وترى ما في دراسة التاريخ العربي والادب من عناء وعنت لا يتأتى لك بعدهُ إلا ان تحمدهُ وتشكر له ما أسدى الى امته من جميل . هذا وقد وضع المؤلف كتابهُ في أربعة ابواب في كل باب فصول ، وفي الجزء الذي بين ايدينا الباب الاول منهُ : في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي من (سنة ١٣٢ — ٢٣٢ هـ) واجتزأ منها بما له اثر قويٌّ في العلم والفن . والباب الثاني : في الثقافات المختلفة دينية وغير دينية . وأرصد باب « الحركات العلمية » وباب « المذاهب الدينية » ليجعلهما من نصيب الجزء الثاني الذي وعد بتقديمه الى القراء قبل ان يفرغوا من قراءة هذا الجزء . فوفاء بحق هذا الكتاب الجيد نبذل جهدنا في الكلام عنهُ والتعرّض لما فيهِ موجزين ان شاء الله وبالله التوفيق

تحرير القول في الاحوال الاجتماعية والعلم والفن واثر احدها في الآخر من أعسر ما يتعرض له الكتّاب فان الجليل من أحدها له من التأثير مثل الذي للحقير ، وان من صغير احوال المجتمع لما يزيد في العلم والفن او ينقص منهما ، وان من حقير العلم والفن لما يزيد في احوال المجتمع او ينقص منها اذ تتراقد هذه الثلاثة . حتى اذا ما اردت ان تعرف ايها الذي أثّر تأثيراً قويًّا أو ضعيفاً وايها الذي تأثّر التوى عليك المسلك ووقعت في الحيرة واضطربت اضطراب من ضلّ بهِ دليلهُ . فمن اجل ذلك ما ينكُص كثير من المؤلفين عن تناول هذا الا في الندرة . وغاية ما يمكن المؤلف فيعمل ليتلافى هذا النقص وخاصة في التاريخ العربي أن يتسقّط اخبار الحياة الاجتماعية من قصيدة لشاعر او كلة لخطيب او وصف او قصة فيؤلف بينها ثم يمنحها من خياله وفكره ما يتمم بهِ النقص الذي وقع فيها ويضع عليها من زينتها ما يظنُّ انها كانت تتجمل بهِ ثم يعرضها لك بعد عرضاً خلاباً رائعاً حتى لتحسّ وانت تقرأ ما كتب انك قد انتقلت من عصرك الذي انت فيهِ الى عصر مثل هذا العصر العباسي الذي تناوله « ضحى الاسلام » ، وانك تعيش في جوّ من الحياة العباسية فيها سحرها وجمالها ولها روعتها وجلالها ويترقى اليك المؤلف خلال ذلك بما يحقق من علاقة هذا الاجتماع بالعلم والفن وأين أثر كلٍّ في صاحبه غير تاركك فتنسى انك تعيش في ديار الدولة العباسية . فاذا أراد أن يحقق القول في موضوع بعينه كالرقيق مثلاً افرد له خاتمة ما يخرج فيهِ رأيه بأدلته وبراهينه وحججه وما ينتهي اليهِ من اخباره زيّفها وصحيحها

ونحن نعتقد ان المؤلف قد قصّر في هذا الباب على جلالة ما كتب فيهِ . وان القيد الذي

وضعهُ من الاجتراء بما لهُ ثروة قوميٌّ . . . في العلم والفن من الحياة الاجتماعية قد أضاع بهجة هذا الباب . وقد كان يستطيع ان يحتفظ بشرطهِ هذا مع شيءٍ من التوسع في صفة بعض بلاد الدولة العباسية وأهمها بغداد حتى يحس القارئ وكأنهُ ارتحل فوافى بغداد يرى من اشرافها الاسوار والقباب العالية على ابوابها بينها الابراج عليها حراسها وحجابها في ازيائهم وملابسهم . والتماثيل على رؤوسها تلوح وتلمع ، حتى اذا دخل بغداد رأى القصور بين البساتين والانهار فاذا دخلها رأى الدهاليز والممرات والمخترقات والصحون فيها الصور القائمة على اعمدة الرخام ، والمجالس فيها الفرش الجميلة والابسطة المطرزة بالالوان الغريبة ، والشعرُ المنقوش على اطرافها واوساطها . ورأى صور النيلة والخيل والجمال والسباع والطير على ستور الديباج المذهبة . ورأى الخليفة في ابهته وجلاله ومن يحيط بهِ من حاشيته من اجناس الامم في اللباس العجيب . ورأى العلماء والشعراء والحجاب تروح وتغدو ، ورأى زيَّ القضاء وزي الشرطة وزيَّ الكتاب وزي الوزراء وزي الاعراب من الشعراء وهم ينشدون مديحه في صوت البدويّ الجافي مع حلاوة المخرج وحسن الاداء . ورأى شعراء الحضر يمدحون بالشعر فيه الغزل وفيه الحكمة وفيه السياسة والتحريض والدعوة الى التوفيق او التنبيه الى السياسة . ورأى الجدلَ في مجلس الخلافة بين العلماء من فقهاء ونحويين ولغويين ورأى اولياء العهد في ملاعبهم ومجالس علمهم . والندماء في لباس الشراب والمغنين في الاقبية الخراسانية بأيديهم المزاهر والاعواد ومن كل آلات الطرب بينهم القيان الجميلات والاماء الاديبات والشراب يدور بهِ الولدان والفتيات يزينهنَّ وحسنهنَّ فاذا خرج الى البساتين رأى الافراس المطهمة عليها الذهب والفضة في ايدي الشاكرين (السوَّاس) عليهم البزَّة الجميلة ثم رأى حيرَ الوحش (حديقة الحيوانات) تخرج الوحوش منها تقرب الناس وتأكل من ايديهم ، والفيلة المزينة بالديباج والوشي مع اصحابها من فيالة السند ، والسباع بأيدي السباعين في رؤوسها واعناقها السلاسل والاغلال ، ورأى البرك من الماء فيها مجالس للخليفة بألوانها وصورها وجمالها واخرى من الرَّصاص القلعيّ تتوهج في شعاع الشمس كالفضة المجلوة والنخيل من حولها ملبَّسةً بالشبه المذهب وأشجار الآرجّ عليها الرينة تنفح عطرها وشذاها . والاشجار المصنوعة من الذهب عليها عصافير الفضة تحركها الريح فيخيل اليك من حسنها انها اشجار حية . وتخرج الى اسواق بغداد يفوح طيبها ومسكها ومندلها وبخورها وصندلها ويتلألأ الذهب والفضة في نواحيها وأرجائها والنساء والقيان والمغنيات والشباب والشيوخ والفقر والغنى وأهل التصوف ومن كل امة وجنس من رومها وعربها وفرسها وسودانها وحبشها وظرف اهل بغداد واحاديث مجانها وخلعائها وتنادر ظرفائها والاعرابيُّ في صوفهِ والحضري في خزهِ وحريرهِ والنعال السبتية بأصواتها وألوانها ويسمع من وراء الجدران لحان الجواري ومن يتغنينَ في بيوتهنَّ ويضربن بالدف والعود والمزهر والناي ، وليل بغداد والسمر والغناء والموسيقى

والمساجد والأذان وأصوات التكبير ودوي قرّاء القرآن في جوانبها ومواعظ الوعاظ وبكاء الناس من هول يوم القيامة وأهل الحديث والمعتزلة والفقهاء والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ..... الى غير ذلك مما يطول ذكره ولا يفرغ منهُ . والذي ذكرنا هو من احوال الاجتماع في بلاد الدولة العباسية وقد اثّرت في العلم والفن وأثّرفيها العلم والفن فلو ان المؤلف عرضهُ عرضاً خلاباً فاتنا لما ترك من بعده مقالاً لقائل

ومثل هذا العرض لا بدّ فيه من تضافر امرين . الاول : كثرة المادة التي يريد ان يبني عليها المؤلف كتابه ، وتهيئتها قبل البدء ، ومعرفة المواضع التي يجب ان يكون فيها التحقيق العلمي وما هو بسبيله من اثبات اثر الاجتماع في العلم والفن او أثرهما فيه بحيث لا يفسد جفاف التحقيق جمال الوضع وحسن الوصف . والثاني : قلمٌ سيالٌ عنيفٌ متزن يمده خيال واسع محيط وفكر متوقد لا يخبو كالشعلة من النار كلما احتطب لها ازدادت توهجاً واشتعالاً حتى ترسل الكلمات في تيار جارف من القوة والرهبة ليحطم بذلك ما بين القارىء وبين العصر الذي يدرسه من اسوار وحوائل . وقد تهيأ الامر الاول للاستاذ « احمد امين » كما دلنا على ذلك كتابه ، اما الآخر فكأني به شيخ محنك قد حطمتهُ السن يضع الكلمة بعدها الكلمة في هدوء ووقار . لانهُ لا يخرجها الا بعد ان يزنها في الميزان المهيأ من تجاربه وما لقي من احداث دهره فمن اجل ذلك ما تجده كثير الاستعانة بما ليس للقارىء به حاجة كقوله في المواضع الكثيرة «في عصرنا الذي نؤرخه» فكأنهُ يخشى ان يكون قارئه قد نسي انهُ يقول ما يقول عن العصر العباسي

وبعدُ فهذا اهم ما نقوله عن الكتاب من جهة وضعه وعرضه وبقيت اشياء قد عرضت لنا حين القراءة على ضيق الوقت والتباسنا بالعجلة وهذا حين نحقق ما عرض لنا من ذلك

١ — نقل المؤلف من رسائل الجاحظ في ص ١١ قوله « من ذلك : أن أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات ، والاغوار . واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات » ووضع نقطة الفصل بعد «الأغوار» مما يدل على أنها معطوفة على « الهنديات وبنات الهنديات » وعلق على الاغوار بقوله «الغُورة بالضم : بلدة عند باب هراة ، وبلاهاء ، ناحية بالعجم «والصواب» والأغوار واليمن أشهى النساء عندهم... الخ» يعني أهل تهامة والحجاز واليمن « قال الازهري : الغور : تهامة وما يلي اليمن . وقال الباهلي : كل ما انحدر من نجد فهو غور » وأهل الأغوار واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات لكثرة ورودهن عليهم لقرب الحبشة منهم . وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه في تفضيلهن على غيرهن أن « هن أنقى أرحاماً » أو كما قيل

٢ — ذكر المؤلف في معرض الكلام عن خطأ الأعراب وكذبهم في اللغة ص ٣٠٠ «أكاذيب الأعراب» وعنى بها مايختلقونهُ في اللغة وذكر أن أبا العباس المبرّد عقد باباً في كتابه الكامل سمّاهُ «أكاذيب الأعراب» والصوابُ أن الباب الذي عقدهُ أبو العباس في الكامل هو «تكاذيبُ الأعراب» ج ١ ص٣٥٦ وعنى به مايتزيّدُون فيه من الكلام ومايختلقونهُ من الاوهام كالذي قال ابو عبيدة في قول الراجز

«أهدّموا بيتك لا أبا لكا وأنا أمشي الدّأل حوالكا»

هذا يقوله الضب للحيسل (وهو ولد الضبّ حين يخرج من بيضته) أيام كانت الأشياء تتكلم.. الخ وكالذي نقله صاحب «ضحى الاسلام» في ص ٣٠٧ عن كتاب الكامل نفسه من قوله «تكاذبَ أعرابيّان .... الخ»

٣ — قال المؤلف في ص ٣٠١ «وألف ابن خالويه كتاباً سمّاهُ «ليس في كلام العرب» بيّن فيه ألفاظاً تستعمل ولم يصحّ سماعُها من العرب» وليس الأمر كذلك فالكتابُ بين أيدينا وقد طبع سنة ١٣٢٧ هـ بمطبعة السعادة . ذكر فيه ابن خالويه ما شذّ عن القاعدة من كلام العرب وابتدأ كل فقرةٍ بقوله «ليس في كلام العرب» وبها سمّى الكتاب . وذلك كقوله مثلاً في ص ٥ «ليس في كلام العرب ، أفعَل فهو فاعل إلاّ اعشبت الأرض فهي عاشب ، وأورس الرمثُ فهو وارس ، وأيفع الغلام فهو يافع ، وأبقلت الارض فهي باقل ، وأغضى الرجل فهو غاضٍ ، وأصل البلدُ فهو ماحل» . ولدار الكتب في فهرستها خطأ أكبر من هذا فقد وصفوا هذا الكتاب بقولهم «هو كتابٌ في الكلمات التي دخلت على العربية من الفارسية وغيرها وليست منها» .... !! وليس في الكتاب كلمة فارسية ولا (ملطية)

٤ — في ص ٣٩٥ تحريف في آيةٍ من كتاب الله وقعت هكذا : ألم تر إلى الابل كيف خلقت . والآية من سورة الغاشية «أفَلا يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ»

٥ — قال المؤلف في ص ٨٣ «وقد كانت المملكة البيزنطية تحرّمُ على من ليس نصرانيًّا أن يتملك رقيقاً نصرانيًّا ، ولكن المسلمين أباحوا ... !! لليهود والنصارى أن يتملكوا الارقاء ولو كانوا مسلمين» . ولاأدري كيف كان ذلك وكيف يكون ؟ وأي دليل وقع للمؤلف على هذا القول ؟ والله تعالى يقول في سورة المائدة «يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أوْلِيَاءُ بَعْضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ» وكيف يبيح المسلمون ذلك ، ومن الذي أباحهُ ؟ ؟

٦ — من أهم مآثر المؤلف عمله أكبر الأثر في العلم والفن والاجتماع أيضاً كثرةُ الورق في بغداد حين أتوا به من الصين وغيرها وكانت له تجارة واسعة جدًّا في العصر العباسي»

فقد انتشر الوراقون في بغداد وكثرت عندهم الكتب وكثر النُسّاخ والكتّاب وسهل على الناس ان يقرأوا الكتب بالكراء من دكاكين الوراقين . ولقد احدث ذلك من النهضة في العلوم والفنون اكثر مما احدث الرقيق وغيرهم في بلاد الدولة العباسية . ولعلّ المؤلف أخره الى حين القول في الحركات العلمية « فهو به اشبه » او كما يقول . هذا ، والكتاب لا يزال بموضع العناية فان اتسع الوقت لنا في تحقيق ما رأينا فيه عدنا اليه والله المستعان ؟

محمود محمد شاكر

المراحل

سياحات في ظواهر الحياة وبواطنها

بقلم ميخائيل نعيمه — ١٤٤ صحيفة من قطع المقتطف — طبع عطية صادر بيروت — ويطلب من المؤلف رأساً في بكفتا (لبنان) ومن المكاتب الفرنسية ، وسعره ٧٥ غرشاً سورياً

تخرج المطابع العربية عشرات الكتب يومياً ، ومن هذه العشرات ما قد يكون لكاتب واحد ، ثم تكرّ الايام فيتناسى القراء تلك الكتب ويتجاهلون مؤلفيها فينسج النسيان عليهم حجاباً كثيفاً

غير اني لا اعجب الاّ من مؤلف يخرج كتاباً واحداً فلا يذكر اسم الكتاب حتى يكون اسم المؤلف مقدمته ، او يذكر اسم المؤلف فلا يكون عنوان الكتاب الاّ لقبه

ذلك هو ميخائيل نعيمه مؤلف الغربال ، ما اذكره الاّ واذكر الرأي السديد ، والفكر الجليّ ، والمعنى الحيّ ، والاسلوب القوي ، والقلب النابض بالحياة ، والنظرة المتطلعة الى الحقيقة المجردة من وراء الحجب الكثيفة . وهو في كتابه الثاني « المراحل » ابعد مرمى ، وأنفذ بصيرة ، فهو يتغلغل فيه الى لباب الحياة فيستخلص الحكمة منها كما هو في مقالات : « ثلاثة وجوه » و« الى الجندي المجهول » و« حبتان من القمح » و« المزابل » و« موعظة الغراب » وغيرها . وفي مقاله « الفوضى الادبية » ردّ قوي على الجامدين بإزاء نظام الحياة الذين يرون الفوضى في ان يكتب الناس بأساليب غير ما القوا ، وأن يعبروا عن عواطفهم في قوالب غير قوالبهم « ولو فكروا لفقهوا ان ما يدعونه « فوضى » ليس الاّ نتيجة لازمة لعلل كثيرة سبقتها وانه مظهر من مظاهر النظام السرمدي الشامل . وانه ، وان يكن خروجاً على النظم ليس خروجاً على ذلك النظام الذي لا متمرد عليه ولا عاص »

ولميخائيل نعيمة نزعة الى الروحانيات يبدو أثرها قوياً في مخاطبته الوجوه الثلاثة : وجه بوذا ، ووجه لاوتسو ، ووجه يسوع . فأسمع صداها في نفسي وهو يناجي الوجه الاول قائلاً :

« غوتاما بوذا ! ياساكن النرفانا ! الا بيّنت لي انا المسّير بالارض ، والحامل من همومها ثقل محورها وجبالها ألا بينت لي كيف اقف على العتبة الفاصلة بين الوهم والحقيقة كما وقفت

انت على عتبة مخدع زوجك وأم بكرك وقد نامت تحت لحاف من الازهار ، وبكرك وبكرها ملتصق بصدرها ، ومن دون ان تدنو منها قلت : هوذا رباط جديد قوي يجب ان أشك منهُ كذلك . وأدرتَ وجهك الى الليل ورحت هائماً في الآجام تطلب الطريق الى انرفانا»

وعطشهُ الى «الذات العالمية» في مناجاته هذه هو شوقهُ الى طريق لاوتسو، الى «الطاو» إذ يناجيه : «إيه لاوتسو ! يا نقيض الناس ومعلم الناس ، ألا ازرع في نفسي الطماعة الطماحة، الحاقدة الناقة ، المتهيئة المستكفة ، العاتية المستعيدة ، الصاعدة الهابطة في زبد امواج الرغائب والمنى ، ألا ازرع فيها حبة من بذار قناعتك ، وحبة من بذار محبتك ، وحبة من بذار حريتك، وحبة من بذار وداعتك ، وحبة من بذار تناهلك ، وحبة من بذار سلامك وحبة من بذار طمأنينتك !!»

ويرى الاستاذ نعيمه انهُ اذا كان في العالم فساد «فالفساد ليس الا في اعتقاد الناس أنهم فاسدون وأن في الكون ما هو معوجٌّ وفي قدرتهم تقويمه»

واسمعه في اعماق نفسي ينشد «الآب» وهو يناجي وجه يسوع هاتفاً : « ايها القائل : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فانهم يحبون ان يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس ... » علمني كيفما تخفت في اذنيَّ اصوات هؤلاء المرائين ، وأسمع صوتك قائلاً : « حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً » فأنهم اني إن شئت العودة الى « الآب » فعليَّ أن أسمع الآب في قلبي أو قلبي في الآب »

وهذه النزعة العلوية التي تنزعها روح أديبنا هي التي تجعلهُ يرى الفرق بين الشرق والغرب « منحصراً في نقطة واحدة جوهرية وهي ان الشرق يستسلم لقوة أكبر منه فلا يحاربها ، والغرب يعتدُّ بقوَّته ويحارب بها كل قوة » « وان الشرق اقرب من الحقيقة بإيمانه من الغرب بفكره وعلمه وبرهانه ...» وفي نظره «أن القائل من كل قلبه : «ولا غالب الا الله» لأحكم وأكثر طمأنينة روحية من القائل : « ولا غالب إلا أنا » ويرى ان الغرب أحوج الى مدرسة الشرق من الشرق الى مدرسة الغرب

لهذه النزعة ولهذه الروح الوثابة الى نشدان الذات العالمية مع بوذه ، والطاو مع لاوتسو والآب مع يسوع يرى ميخائيل نعيمة عاملاً قلبهُ متطلعاً الى النور البهي الذي يرى روحه آفاق إشعاعه ليعود مسرعاً من نيويورك ذلك « التنين المتمدد بين نهرين ، الفاغر فاهُ ليشرب البحر ويبتلع البر دون أن يرتوي يوماً أو يشبع » يعود مسرعاً الى صنين ليستلقي «في الأصيل على صخرة دهرية بيضاء فيها توالى سنة كالحراب تتخللها منبسطات ملساء ككف العذراء ، من (ورائه) صخور تتعالى الى السماء وتطرح (عليه) ستراً من الظل ناعماً كالمحبة مؤنساً كالرجاء عابقاً بالسلام والطمأنينة كالايمان .»

وكأني اناجيه وهو مُولٍّ وجهه عن نيويورك الى بكنتا (لبنان) يناجي به لاوتسو: « أحب وجهك الكالح — وجهَ المعلم لايفهمهُ تلاميذهُ ، وأحب وجهك الشاحب — وجهَ العاشق لا وصول له الى معشوقهِ ، وأحب وجهك الحائر — وجه من وجد الطريق ثم عاوده شك بقدرتهِ على قطعه . غير اني أحب أكثر من ذلك بمالا يقاس وجهك الذي أدرتهُ عن الجندي على حدود ولاية «تشو» وصوبته نحو الأفق البعيد فكأني بولاية « تشو » عالم الحس والشهوات . وكأني بك حين تخطيت حدودها تخطيت حدود هذا العالم تاركاً خلفك زبوات من الديدان البشرية تدأب النهار والليل في حفر الأرض كأنها تتحصن في حُفَرها من الموت والفناء ، وما حُفَرها إلا قبور لها ، وكأني بالأفق الذي أدرتَ اليهِ وجهك ملكوت الطاو . وكأني بوجهك إذ ذاك شعلة من نور الطاو فلا أثر لحرقة فيه أو لفوعة . أو لحزن او لفرح . أو لأمنية أو لشهوة . أو لخير أو لشر . وكأني بروحك القدوسة تسير حتى الساعة في سبيلها السَّير القويم الذي لاحدَّ لطوله ، ولاقياس لعرضه وفي سيرها محجتها فهنيئاً لك ! »

حسن كامل الصيرفي

من الارز الى الزوفا[1]

بحث في اساطير النبات في فلسطين

بقلم السر كروفوت والمس بلدنسبرجر

هو كتاب بالانكليزية بقلم السيدتين الفاضلتين السر كروفوت والمس بلدنسبرجر فيهِ مباحث جليلة في نباتات فلسطين وما جاء فيها من اساطير العامة من اهل البلاد وما قال فيها القدماء . والكتاب مبوّب احسن تبويب ففيهِ فصل في السنة الزراعية وآخر في الحبوب والعنب والزيتون وآخر في الاطعمة البرية منها البقول اي الخضراوات واحرار البقول اي ما يؤكل منها نيئاً والجذور والقطاني كالحمص والفول والجلبان والبيقية والعدس والباقلا

فمن البقول البرية الخُبّازى واللُّفيت ولسان الثور واللوف والعكّوب . ومن احرار البقول اي ما يؤكل منها نيئاً الخُرّفيش وخرفيش الحمير والحُميرة والقَطَف والحُسّاك والخُبيص والخرشوف البرّي والطرخشقون اي سلعلة الرهبان والهندباء والخس البري والقرصعنة . ومن الجذور النَّشير والبنبوس وتوم العرب

وفيهِ فصل في الوقود منها البَلّان والرِّتم والصوفان . وفصل في النباتات التي اسماؤها غريبة او واردة في امثالهم منها عين البَرّ والخُطّي وسراج الغول والخِلّة وشعر العجاز وهو الكشوث وابرة العجوز وقرنبيط الدجاج والسَّير والخروع والحدق والعُشَر والحنظل

(1) From Cedar to Hesson. A Study in the Folklore of Plants in Palestine by Grace M. Crowfoot and Louise Baldensberger London: The Sheldon Press.

ثم الازهار الطيبة الريح كالخندقوق والورد والحنّاء والنباتات الداخلة في عمل الاصباغ كالنيلة والفوّة وفي عمل الصابون كعرق الحلاوة والفلي

وفصل في النباتات الطبية ورد منها الزوفا اي الزعتر والمريمية اي القصين والزعتر الفارسي والجعدة والشيبة والحُمحم والزقّوم والقرطُم والكزبرة والكمّون والشمر والشاهترج وعرق السوس والطيون وهو الطبّاق والبابونج والخرْمَل والمعطكى والعنبر والقصّاب والرجلة وهي البقلة الحمقاء والخامشة والشذاب اي القيجن والسُمّاق والمشنان والقراص والرشاد وغيرها . وفصل في الاشجار المقدسة منها الارز والبلّوط والميس والرمان والسِدْر والطرفاء والخرُّوب والنباتات السحرية منها اللفّاح او بيض الجنّ وكف العذراء وزهرة البراءة

ويتخلل كل ذلك اشعار عامية وحكايات وامثال . مع وصف النباتات وصفاً دقيقاً . والكتاب مزين بصور النباتات بقلم المسز كروفوت والصور كلها حسنة جدًّا . ولما كان هذا الكتاب النفيس يتعذر وصفه ونقده باسطر قليلة رأينا ان نفرد له فصلاً خاصًّا في الجزء القادم من المقتطف بقلم العلامة الفريق امين باشا المعروف

محمد — حياته ومعتقده

Tor Andrae, Mohammed. Sein Leben und sein Glaube. Göttingen, Vandenhoeck u. Ruprecht, 1932, 160 S. 8o.

اكثر المشتغلين بدرس السيرة النبوية في الغرب كانوا — ولا يزالون — من اللاهوتيين وهو أمر يقتضيه التخصص واقسام التعليم ودرجاته عندهم . اذ أنّ الموضوع بطبيعته اقرب الى قسم اللاهوت منه الى سائر الاقسام . وقد تطور هذا الموضوع بتطوّر علم اللاهوت . صار اليوم علم النفس وعلم مقابلة الاديان من المواد الضرورية في قسم اللاهوت بالجامعات الكبرى وظهر اثر ذلك في درس السيرة النبوية . والكتاب الذي نحن بصدده خير مثال لذلك . صاحبه استاذ بجامعة أبْصالا بالسويد ومستشرق معروف بعد من الاختصاصيين في «حياة محمد»

ظهر له سنة ١٩١٧ كتاب بعنوان « محمد كما نرى أمّتُه ونعتقد » وآخر سنة ١٩٢٥ بعنوان «مَنْشَأ الاسلام والمسيحية» وكلاهما باللغة الالمانية وله غير ذلك رسائل ومقالات تتصل بالموضوع نشرت في مجلات علمية مختلفة

وهذا كتابه الاخير ظهر منذ بضعة اشهر وهو يحتوي على مقدمة وسبعة فصول هي :—

(١) بلاد العرب عند ظهور الاسلام (٢) من الطفولة الى نزول الوحي (٣) رسالة محمد الدينية (٤) في الوحي (٥) المخصومة مع القرشيين (٦) حاكم المدينة (٧) شخصية محمد

وللكتاب ميزات كثيرة منها :—

(١) شدة الاحتياط في قبول النتائج المبنية على الابحاث اللغوية . (ص ٢٠ و ٣٤) وهي

حيزة يتقدرها كل من له الملم باساليب قدماء المستشرقين (٢) اعتبار القرآن المصدر الرئيسي للسيرة النبوية ويظهر ذلك في كل فصول الكتاب (٣) ان الكاتب يعتبر الاسلام « قوة روحية وبذرة حية لا مجموعة تعاليم ونظام من الشعائر الدينية فحسب » (ص ٨) وان تلك القوة الروحية هي ايمان محمد الشخصي (ص ٨) فهو لا يخوض في مسألة « الابتكار » وحظ الاسلام منه الخ والفضل في ذلك العلم مقابلة الاديان

في الفصل الثالث تظهر مقدرة الاستاذ كلاهوتي عصري ومستشرق ممتاز خصوصاً عند بحثه في مسألة القضاء والقدر واثباته انها — كعقيدة دينية — ليست بضعف وعبودية بل قوة وحرية . والفصل الرابع والسابع يعدان آية في دقة البحث وتحري الانصاف والبراعة في تطبيق نظريات علم النفس الحديث

ط . خيري

بجامعة هيدلبرج — المانيا

رسالة تاريخية

عن مستشفى الاسكندرية الاميري — وضعها الدكتور عبد الرحمن عمر مديره سابقاً
طبعت بمطبعة التمدن بمصر

« تاقت نفسي بعد ان اسندت اليَّ ادارة مستشفى الاسكندرية الاميري الى ان اعرف شيئاً من تاريخه وحفزني لذلك ما وجدت في انحائه من مظاهر أثرية قديمة كاعمدة كاملة وغير كاملة من الجرانيت او الرخام ومن مباني في جوف الارض ، ثم ما وجدت فيه من مظاهر حربية تدل على ان المنطقة التي هو فيها كانت على ما يظهر جزءاً من منطقة دفاعية ، يدل على ذلك بقايا مدفع وبعض من القذائف الحديدية القمعية الشكل في بعض جهات المستشفى ثم بناؤه فوق هضبة عالية بها ما يشبه الطوابي »

بهذه العبارات المشوقة صدّر الدكتور عبد الرحمن عمر بك هذه الرسالة التاريخية النفيسة . ولا ريب في ان التصدي لهذا البحث التاريخي عمل شاق لطبيب يمارس صناعته ويتولى ادارة مستشفى وفي كفه ارواح معلقة في الميزان بين الحياة والموت . ولكن المؤلف اجاد البحث التاريخي اجادته للعمل الانساني الذي توفر عليه وانقطع له

ويؤخذ من بحثه ان المستشفى أسس سنة ١٢٤٦ هـ — ١٨٣٠ م وأغلب ظنه ان اللوحة التي دوّن عليها هذا التاريخ منقولة عن لوحة سابقة فقدت . ولجأ الى دار المحفوظات المصرية بالقلعة فعثر على وثيقة تشتمل على الامر الصادر من محمد علي الى بلال افا في مارس سنة ١٨٢٧ م ببناء المستشفى . ثم جشم المؤلف نفسه مؤونة البحث عن حيّ « بين السواقي بالاسكندرية القديمة » المذكور في الوثيقة المشار اليها فلجأ الى قسم المساحة المحلي بالاسكندرية وبحث مع رجاله في الخرائط ، ثم الى المعمرين من الرجال فاخبره احدهم وقد كان مكارياً في سنة ١٨٨٢ وعمره الآن

تسعون سنة ، « ان المستشفى الاميري كان مبنيًّا بجوار جامع المنير في منطقة بين السواقي بالقرب من جامع الناصوري وكان يعرف بمستشفى المحمودية » . ثم حقق ذلك مع مدير مصلحة المساحة فراجعا خريطة التلكي الموضوعة سنة ١٨٦٦ فعثرا فيها على شارع باب الاسبتالية بجوار جامع المنير — الذي ذكرهُ المكاري — ووجدا بناءً مربعاً لم يشكّا في انهُ بناء المستشفى وهو مشغول الآن بمدرسة الفرنسيسكان والدير المتصل بها

على هذا النمط من التحقيق أتى المؤلف الفاضل على ذكر تقدم المستشفى في خلال مائة سنة من الخدمة العامة . وذكر مديريه ونشر التقارير التي وضعوها وما اشتملت عليهِ من البيانات الوافية عن المرضى الذين عولجوا فيهِ وامراضهم وعملياتهم

علم الطبيعة

الجزء الثالث في الضوء — تأليف محمد هاشم الخشاب استاذ علمي الطبيعة والكيمياء في مدرستي التجهيز ودار المعلمين بدمشق

كتاب مدرسيٌّ حافل بتفصيل شؤون الضوء بالتجارب والحسابات الرياضية . فهو لا يصلح للقارىء العام الذي يريد ان يلمَّ بخواص هذه الظاهرة العجيبة — الضوء — وبالآراء في طبيعتها من نيوتن الى بلانك وكمتن وما لها من صلة بفلسفة الكون الطبيعية والمذاهب الحديثة كنظريتي النسبية و « الكم » او « المقدار » Quantum

والظاهر ان المؤلف عني فقط بتفصيل احكام الضوء المشهورة كالانعكاس والانكسار ، وصنع المرايا وتكوّن الاشباح عليها وبناء المجاهر (المكرسكوبات) والنظارات الفلكية (التلسكوبات) ولكن لم يوجه انتباهه الى التطور الحديث في نظر العلم الى الضوء . فليس ثمة كلام في فصول الكتاب يتناول تشتت الضوء او تفرقهُ (scattering) ولا الحل الطيفي (spectrum analysis) واستعمال ما يشهد في الطيف من خيود الخطوط المظلمة لمعرفة عناصر النجوم او اتجاهها وسرعته ، ولا النظرية الحديثة في ان النور ليست دقائق فقط كالدقائق التي قال بها نيوتن ولا امواجاً كالامواج التي ذهب اليها هوجينس وغيره ، بل هو ينطلق في مقادير دقيقة Quanta تسير سيراً موجيًّا . ثم اننا لم نجد فيهِ ذكراً للطريقة التي قيست بها سرعة الضوء وعلاقة ذلك بمسألة ميكلسن مورلي التي بنيت على نتائجها نظرية النسبية . وكلُّ هذه مباحث لا يمكن ان يكون كتاب حديث في الضوء كاملاً من دونها

ثم ان المؤلف استعمل الفاظاً كنا نفضل انهُ يجاري فيها الشائع بين كتاب العلم . فقد استعمل الابتلاع absorption بدلاً من الامتصاص وشبه الظل بدلاً من الظليل والطولاني والعرضاني بدلاً من الطولي والعرضي ونوترون بدلاً من نيوتن وهو نطق اسمهُ كما يتلفظ بهِ اهل بلاده والجسم الزجاجي في العين بدلاً من الرطوبة الزجاجية والمخلط (ولهُ وجهٌ) المائي بدلاً من الرطوبة المائية وفاليله بدلاً من فاليليو

في الصيف

عند ما رأيت الغلاف المتواضع الذي اصطنعه الدكتور طه حسين لكتابه « في الصيف » لم اقدر لهذا الكتاب خطراً اكبر من انه احد المباذل التي قد يتفضل بها المشهورون من الكتاب ولا يتحرجون الظهور بها على الناس اعتماداً على ما لهم من شهرة واسعة وصوت بعيد . وعلى هذا التقدير وان شئت قل على هذا الظن كبتُّ الشهوة الحادة التي كانت تحفزني للاطلاع عليه

وكانت احدى زياراتي للاستاذ محرر المقتطف فنظرت فاذا بي اجد هذا الكتاب على مكتبه ولست ادري كيف تناولته ولا كيف فتحته ولا في اي صفحاته نظرت وقتئذ واذكر اني فعلت هذا كله في رغبة وشوق ولذة لا اعرف لها مأتى

لا احب ان اقول اني لمحت في هذا الكتاب قوة سحرية جبارة لان القدر الذي قرأته حينئذ كان يسيراً لا يسوغ لي هذا الحكم . ولكن الى اية جاذبية خارجية اعزو هذه الجرأة التي اخرجتني على عادتي فطلبت بنفسي من الاستاذ محرر المقتطف ان يسمح لي بقراءة هذا الكتاب ثم بالكتابة عنه اذا سمحت الظروف ؟ آه لقد اهتديت

سمعت او قرأت لا اذكر تماماً ان لكل انسان ملكاً يرد غيبته ويظهر ان الملك الموكل بردّ غيبة الدكتور خبيث جداً او انهُ يقظ الاحساس جداً فهو لم يرضه من انسان كائناً من كان ان يحتقر اي شيء لصاحبه ولو كان غلاف كتاب

فلم يكن من الخبيث الا ان احتال حتى وضع الكتاب في يدي والاّ ان زيَّن لي قراءة صفحة من وسطه خيل اليَّ فيها كل ما يتخيله المسحور واذا بي ارتدُّ بكل تواضع الى قراءة هذا الكتاب من اوله واذا بي أكاد اقف عند كل جملة مستحسناً او موبخاً نفسي على التقدير الظالم الذي اسلفته لهذا الكتاب اول يوم وقعت عيني عليه

الحق ان كتاب « في الصيف » لا عيب فيه الا تواضع مظهره فقد كان جديراً بمثله ان يظهر في ورق أغلى مما ظهر به وان يقمش في جلدة ارستقراطية لائقة بمثله ولكن هذا شيء مستدرك ولعلنا نراهُ في طبعته الثانية المرجوة قريباً ان شاء الله . اما اسلوبه واتجاهاته الفنية فناهيك باسلوب فني يقول الاستاذ العقاد في نقده انهُ يشبه او يقارن بالرسائل الفرتريه . اما ان فقد اري ولكن بكل تواضع انهُ اقرب شبهاً الى اسلوب اناتول فرانس في رواية جريمة «سلفستر بونار» وسواء اصح رأي العقاد او صح الرأي الثاني ام صح الرأيان واكبر الظن انهما الاثنان صحيحان فان اللغة العربية جديرة ان تهنأ بهذا النوع من الادب الحي وان الدكتور طه جدير ان يباهي بأسلوبه الذي يلتقي فيه جمال اسلوبي شاعر الالمان وكاتب فرنسا العظيم . وبعد ذلك فهو باق خالد بطابعه المستقل المعروف بانهُ اسلوب طه حسين

***

تاريخ مصر السياسي الحديث

تأليف محمد رفعت — جزآن — الثمن ١٥ غرشاً — المطبعة الرحمانية

عند ما عهد صاحب الجلالة الملك فؤاد الى المؤرخ الكبير «غبريال هانوتو» بوضع تاريخ مصر سأل المؤرخون المصريون هل المؤرخون الغربيون واقفون الوقوف الوافي على دخائل قضايا الشرق ودقائقها ، واذا كانوا مطلعين أيعدلون في الحكم على شعوبه وينصفون التاريخ ، وبعضهم في احكامهم يأخذ باعتبارات يتشعها تأييداً « لغرض لم يبق على احد خفيًّا »

على انه مهما يكن من شيء فان في مؤرخي الغرب أمناء لايدخرون العلم بالسياسة . وعلى كل فان مؤرخي الغرب ابرع في نبش مكنونات التاريخ وتصفح مطويات الوثائق لوفرتها في خزائن الحكومات الاوروبية في حين ان خزائن الحكومات الشرقية خالية من معظمها وهو اهمال يعود الى اسباب جمة منها فوضى الادارة في الحكومات الشرقية على عهد الفتوحات . ومنها عدم اصدار كتب رسمية في الحوادث الكبيرة على ما جرت به العادة عند الغربيين . يدلك على وجاهة هذا القول ان المصادر التي استقى منها المؤلف تكاد تكون كلها اجنبية (فرنسية وانجليزية) وقلما اعتمد على مرجع مصري او عربي محض . ومن دواعي اغتباطنا ان بعض كتّاب مصر تنبه الى لزوم العناية بتدوين تاريخ بلاده ولا يضيرهم ان يعمد بعضهم الى الترجمة والنقل فالتاريخ واحد لا يتجزأ الا من حيث تفهم الكاتب له ووجهة نظره فيه

وقد رأى حضرة الاستاذ محمد رفعت ان يدلي دلوه في الدلاء فيعرض عن الملإ تاريخ مصر السياسي في الازمنة الحديثة فكان موفقاً في الواسطة وفي الغاية توفيقاً يعود الى تنزهه عن الهوى والى تأثره بالحقائق دون العواطف واخيراً الى كونه — على ما يبدو لي — غير متلون بلون سياسي — الوطنية شيء والسياسة شيء آخر — يستهويه عن الحق الى الباطل وعن الامانة الى التغرض . يأخذ العلماء على المؤرخين العرب في قديم الزمان خلو مؤلفاتهم من الطريقة العلمية اما الاستاذ محمد رفعت فقد جمع الى الطريقة العلمية الاسلوب التدريسي — وكتابه وضع للتدريس — فجاء خالياً من المطولات والتفاصيل ولكنه يحتوي اسماء المصادر التي استقى منها الكاتب لترجوع اليها عند الحاجة

يشرح المؤلف في الفصل الاول من كتابه الحالة السياسية والاقتصادية والصناعية في مصر قبل الحملة الفرنسية ثم يصف هذه الحملة واسبابها ونتائجها ثم نهضة محمد علي واصلاحاته الداخلية ثم يعرض للمسألة الشرقية التي ما زال المؤرخون مختلفين فيها لانهم مختلفون في تفسير الشرق وحدوده

ثم ينتقل الى تحليل اقلق الدول عند محمد علي والى التحدث عن الازمة السياسية في سنة ١٨٤٠ اذ نشبت الثورة في الشام واذ اتفق الجميع على ضرب محمد علي ضربة مؤلمة واذ دخلت المسألة المصرية في دورها الحافل بالحوادث العنيفة . وفي هذا الدور وصلت الدول

بعد بحث وتبادل آراء دام سنة الى انهُ يجب الاستعداد لخوض غمار الحرب لاجل استتباب السلم في انحاء الدولة العلية . وفي الجزء الثاني يصف المؤرخ مصر كما وجدها اسماعيل ومصر التي اوجدها اسماعيل ويتناول قناة السويس وامتداد دولة مصر ومنشأ الديون وتحكم اصحابها كما هو جدير بالمطالعة في هذا الوقت الذي تقف الدول فيه موقفاً صارماً وتقاضي مصر امام المحاكم المختلطة وأخيراً يصل المؤلف الى الثورة العرابية ونتائجها ثم ينتهي الى تدخل انكلترا وحرب الاحتلال

وفي الكتاب ملاحق تاريخية ذات شأن كالملحق المختص بمحمد علي والخلافة وقد نشر المؤلف مضمونه في المقتطف (راجع عدد نوفمبر ١٩٢٣) ويذكر المؤلف ان جامعة الامم فكرة اختمرت في عقول ممثلي الدول في سنة ١٨٤٠ ولكنها لم تخرج الى الوجود فالخلافات قامت بينهم فاقتضى لتأليفها قيام حرب طاحنة قلبت وجه العالم رأساً على عقب

والذي يلاحظه القارىء ان المؤلف عمد في الانشاء الى اسلوب السهل الممتنع لانه يكتب موضوعاً علمياً وكتاباً تدريسياً على انه لا ركاكة في لغته وان كانت تخلو من البيان الفني . وانك لتلمس في بعض فصول الكتاب تثاقلاً في التعبير فتدرك ان قلمه العربي لم يستظهر على الصيغة الفرنجية التي ترجمها الكاتب وقد تكون منقولة — ولا حرج في ذلك — عن الوثائق الاصلية وكثيراً ما تصاغ فصول هذه الوثائق بعبارات منقلقلة مبهمة وبانشاء مرتجف متعرج

وخلاصة القول ان المؤلف لم يقتصر على ايراد الحوادث والوقائع بل تخطاها الى ذكر الاسباب والمسببات فاعان ذهن الطالب على تفهم كنه المسائل والنفوذ الى داخلها ومن دونها تبقى دراسة التاريخ فارغة من اللباب والمادة توفيق وهبه

القلائد الجوهرية

ديوان من الشعر الجزل نظمتهُ السيدة انيسة حساب في مناقب جلالة الملك فؤاد ورفعتهُ الى السدة الملكية مخطوطاً ابدع خطٍّ ومجلداً انفس تجليد . وقد صنعت من صفحاته المخطوطة كايشيهات طبعت على ورق صقيل ويحيط بكل صفحة اطار مذهب وصدرت بصورة صاحب الجلالة الملك تليها صورة صاحب السمو الامير فاروق فصورة سموه مع صاحبات السمو شقيقاته فصورة سموه مطلاً من عربة القطار الملكي فصورة صاحب الجلالة مع سمو ولي العهد فصورة ساكن الجنان المغفور له الخديوي اسماعيل فصورة المغفور له ابراهيم باشا فصورة محمد علي باشا مؤسس الاسرة المالكة . وقد طبع الكتاب اتقن طبع بمطبعة شندلر بمصر

المحاسن الخطية

او سفر الفن والحكمة: وهي مجموعة نفيسة من صور وخواطر فنية حكمية صوفية مخطوطة خطاً بديعاً — ثلث ورقعة وفارسي — بقلم الخطاط المعروف محمد مرتضى . فنثني على همة حضرته ونرجّه اليها الانظار ونحيي لمجموعته الفنية الرواج والانتشار عند محبي الفن والحكمة

باب الأخبار العلمية

آثار الرجم في الارض

صرّح الاستاذ ملتن Melton وشريفر Schriever امام مجمع تقدم العلوم الاميركي انهما كشفا في الجنوب الشرقي من ولايات المتحدة الاميركية منخفضات تدل على انها نشأت من اصطدام بعض الرجم بالارض. ويذكر قراء المقتطف ان في ولاية اريزونا الاميركية غوراً يعرف بغور الشيطان نشأ من سقوط رجمة كبيرة غارت في الارض فأحدثت منخفضاً مستديراً قطره ٣٢٢٠ قدماً وعمقهُ ٥٧٠ قدماً. وقد ظهر بالبحث ان عمقهُ الاصلي قبلما غطت الاتربة السافية قعره كان ١١٥٠ قدماً. اما الجرم السماوي الذي وقع هناك ومزّق ما وقع عليهِ من الطبقات الصخرية وأحدث هذا الغور الواسع العميق فبلغ الارض بسرعة تزيد على سرعة رصاص البنادق خمسين ضعفاً فكسر الصخور الصلبة وسحق الهشة فانتشرت الكسر والسحق حول الغور في ارض مساحتها ٧٥ ميلاً مربعاً. ولم يكتف بذلك بل زحزح طبقات الصخور المجاورة فارتفعت من جهة وانخفضت من جهة اخرى. والجسم الذي غار في الارض اشد صلابة من الفولاذ فكيف يستخرج وكيف يكسر والقنابل لا تفعل به بل ترتدّ عنهُ ارتداد الحمص عن الصخر ويقدر قطره بثلاثمائة قدم وثقله بمليون طن

وفي سنة ١٩٢١ اكتشف غور مماثل لغور الشيطان على مقربة من مدينة اورل بولاية تكساس الاميركية. فاذا قطره ٥٠٠ قدم وفيهِ كتلة من الحديد النيزكي. ثم ان طائفة من هذه الاغوار وجدت في جزيرة اوزل Oesel ببحر البلطيق قطر اكبرها ٧٠٠ قدم. وفي سنة ١٩٣١ كشف عالمان من علماء جامعة ادلايد باستراليا في منخفض باستراليا الوسطى يدعى «كأس الشيطان» ١٣ غوراً في منطقة لا تزيد مساحتها على نصف ميل مربّع تتباين اقطارها من ١٠ اقدام الى ٢٢٠ قدماً ويظن انها نشأت من اصطدام الرجم بالارض، وعلى مقربة منها قطع من الحديد النيزكي منثورة على سطح الارض. وقد عثر المستر فلبي في خلال رحلتهِ الاخيرة في جنوب بلاد العرب على غورين يظن انهما نشأ بفعل الرجم والاحاديث البدوية المتناقلة تقول ان في مكان هذين الغورين كانت مدينة دمّرت بنار من السماء. وفي افغانستان بآسيا وشيلي باميركا الجنوبية اغوار من هذا القبيل

كهرب موجب ؟

تلا الدكتور بلاكت Dr. P. S. M. Blackett احد معاوني اللورد رذرفورد رسالة على جماعة من اكبر علماء الانكليز في الجمعية الملكية البريطانية بسط فيها أدلته على وجود كهرب موجب Positive Electron وقد كان العلماء حتى الآن يقولون أنْ ليس ثمة شيء من هذا القبيل . فوقع هذا النبأ على العلماء المجتمعين موقع الاستغراب والدهشة

ويقول اللورد رذرفورد ان هذا الاكتشاف من اخطر المكتشفات التي كشفت في هذا القرن الحافل بالعجائب العلمية . والظاهر انهُ كان قد اتفق مع الدكتور بلاكت على انباء الجمعية الملكية به بصفتهِ مديراً لمعمل كافنديش الطبيعي ، فتعذر عليهِ الحضور ؛ فاعلن الدكتور بلاكت نتائجهُ بنفسهِ . وختم رسالتهُ بقولهِ ، « اذا قلبت هذه الحقائق الجديدة نظريات العلماء فعلى العلماء ان يحوّلوا نظرياتهم او ينقحوها . لقد قمنا بما علينا من البحث عن هذه الدقائق ووجدناها . فعليهم الباقي »

ننقل هذا عن احدى الجرائد الاسبوعية ونحن ننتظر ورود المجلات العلمية لنزيد علماً بهذا الاكتشاف العظيم ، اذا صحّ بتأييد العلماء لهُ ، وما قد يكون لهُ من اثر في العلم النظري والعملي

سكان العالم بعد ثلاثة قرون

يقدّر عدد سكان الارض الآن بـ ١٨٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة وذلك بحسب تقدير الدكتور ولتر ولكُكس استاذ الاقتصاد والاحصاء بجامعة كورنل الاميركية . ونصف سكان الارض يقطنون آسيا ففيها نحو ٩٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة وتليها اوربا وعدد سكانها ٤٧٨ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة مع ان مساحتها ٣٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في حين ان مساحة آسيا ١٦ ٧٠٠ ٠٠٠ ميل مربع ويلي ذلك اميركا الشمالية فسكانها ١٦٢ مليوناً فأفريقيا وسكانها ١٤٠ مليوناً فأميركا الجنوبية وسكانها ٧٧ مليوناً فاستراليا والجزائر حولها وسكانها ٦ ملايين نسمة

ويؤخذ من تقدير الدكتور ولككس انهُ يتعذر الحصول على احصاءات يعتمد عليها قبل القرن السابع عشر . لذلك بدأ مباحثهُ من سنة ١٦٥٠ وحينئذٍ كان الكتّاب مختلفين في تقدير سكان الارض فطائفة قالت انهم يبلغون ٣٢٠ مليون نسمة واخرى انهم يبلغون ١٠٠٠ مليون . اما الدكتور ولككس فيقدّرهم بـ ٤٦٥ مليوناً . فلما كان منتصف القرن الثامن عشر بلغ سكان الكرة الارضية ٦٦٠ مليوناً وفي مستهل القرن التاسع عشر ٨٣٦ مليوناً وفي منتصفهِ ١٠٩٨ مليوناً وفي مستهل القرن العشرين ١٥٥١ مليوناً . ومن العثرات في سبيل الباحث تقدير سكان الصين . فالدكتور ولككس يقدرهم بنحو ٣٤٢ مليوناً وجمعية الامم (سنة ١٩٢٩) قدرتهم بـ ٤٥٨ مليوناً وبينهما فرق كبير

وقد كان متوسط زيادة السكان قبل مستهل القرن العشرين كبيراً جداً ، كما يتبين من مقابلة الارقام المتقدمة ثم قلّ بعدهُ . ويرى هذا الباحث انهُ اذا ظلّ متوسط الزيادة ما هو عليه الآن يبلغ عدد سكان الارض بعد ثلاثة قرون اربعة اضعاف ما هو الآن اي نحو سبعة آلاف مليون نسمة

الزجاج في جسم الانسان

مات رجل في الثلاثين من عمره في احد مستشفيات بروكلن بنيويورك فشرحت جثتهُ بعد وفاتهِ فوجد في صدرهِ شظيتان من الزجاج طول احداهما اربع بوصات ونصف بوصة وعرضها بوصة وسماكتها نصف بوصة والاخرى ضوطا بوصة وثلث بوصة وعرضها بوصة وسماكتها نصف بوصة . ولدى البحث ثبت انهُ لما كان في الثامنة عشرة من عمرهِ حصلت لهُ حادثة قذف في اثنائها من نافذة زجاجية فاخترقت هاتان الشظيتان صدرهُ ولبثتا فيهِ فعاش اثنتي عشرة سنة. وهو من الغرائب

زيت السلمون وزيت كبد الحوت

لما عرف ان زيت كبد الحوت (زيت السمك) مفيد في تغذية الجسم لاحتوائهِ على فيتامين (د) جعل العلماء يبحثون عن زيت سمك آخر يكون اطيب مذاقاً من زيت كبد الحوت. وكان معروفاً ان زيت السلمون Salmon يحتوي على الفيتامين المذكور ولكن فعلهُ في منع الكساح اضعف من فعل زيت كبد الحوت. ولكن جماعة من الباحثين الاميركيين وعلى رأسهم الدكتور تول اثبتت انهُ اذا حضر زيت السلمون كما يجب جاء فعلاً كزيت كبد الحوت من ناحية محتوياتهِ الفيتامينية، يضاف الى ذلك انهُ يمكن تحضيرهُ من بقايا صناعة حفظ سمك السلمون (وضعهُ في علب) وانهُ طيب المذاق في افواه الصغار فلا ينفرون منهُ نفورهم من سابقتهِ

عين كهربائية لفرز البيض

في البيوتات التجارية الكبيرة التي تتناول تصدير الحاصلات الزراعية يشتغل خبيرون مهمتهم فرز البيض الجيد من البيض الفاسد وهم لطول خبرتهم وصدق فراستهم يستطيعون القيام بعملهم بمجرد النظر الى البيضة او روزها في يديهم . ولكن احد المستنبطين صنع آلة جديدة آيتها عين كهربائية (او بطرية كهرتورية Photo-electric) تفرز البيض فرزاً اسرع وأدق من فرز الخبراء. ومما يروى عنها ان احد الخبراء كان قد حكم على طائفة من البيض بانها فاسدة فلما مرت في الآلة المذكورة فرزتها على انها جيدة فكسرت وثبت ان الآلة كانت على صواب

عالم يحضر عيده المئوي

من اندر الحوادث في تاريخ العلم ان يحضر عالم عيده المئوي . ولكن اكادمية الطب الفرنسية احتفلت في اواخر السنة الماضية ببلوغ الدكتور الكسندر جانيو Guenio الجراح وطبيب امراض النساء ورئيس الاكادمية السابق سن المائة. جلس الدكتور جانيو يصغي الى الخطب التي اعدت لهذا الاحتفال، والبسمة لا تفارق ثغره ، فلما جاء دورهُ وقف منتصب القامة وتكلم عفو الخاطر . ثم جلس وقرأ رسالة علمية كان قد اعدها ، تخللتها نكات ومنح طرب لها الحاضرون . ومن اغرب ما يروى انهُ لما ولد سنة ١٨٣٢ كتب والده الى صديق كتاباً ختمهُ بقوله : ان ابني، مثل

كل المعاصرين لن يبلغ عشيرها من العمر . انا لا نعلم ما يخبئهُ له الزمن في ثناياه ، ولكننا نستطيع ان نقول واثقين بأنهُ لن يعمر حتى المائة

اثر النحاس في شفاء الانيميا

اثبت الدكتور الفهيم Elvehjem والدكتور شرمان Sherman من اساتذة جامعة وسكنسن ان للنحاس اثراً في علاج الانيميا . فمن نحو اربع سنوات اشتركا مع الاستاذ هارت في اثبات انهُ لابدَّ من قدر يسير من النحاس والحديد للاحتفاظ بمقدار سويّ ، من الهيموغلوبين في الدم وهو المادة الحمراء في الدم التي تحتوي على حديد وتمكنهُ من نقل الاوكسجين من الرئتين الى أعضاء الجسم . حتى الحديد غير العضوي اذا اضيف اليهِ قليل من النحاس يصبح ذا أثر في زيادة الهيموغلوبين

اما كيف يفعل النحاس هذا الفعل فقد كشفا عنه الآن

اذا اخذت طائفة من الجرذان وقد قلَّ الهيموغلوبين في دمها واضيف قليل من الحديد الى غذائها خزن الحديد في الكبد والطحال ولم تظهر اية زيادة في مقدار الهيموغلوبين . ولكن اذا اضيف الى الغذاء قليل من النحاس خرج بعض الحديد المخزون في الكبد والطحال وتحوَّل الى هيموغلوبين . فاذا أضيف الحديد والنحاس معاً تكوَّن الهيموغلوبين اولاً وما يفيض من الحديد يخزن في الكبد . وعليهِ فالنحاس ضروري لتحويل الحديد الى هيموغلوبين . فالحديد العضوي والحديد غير العضوي يحتاجان الى النحاس في ذلك

اما الانيميا التي تعالج باضافة الحديد والنحاس ليست الانيميا الخبيثة التي تعالج الآن بالكبد النيئة او خلاصتها بل هي انيميا سببها فقد الدم او سوء التغذية . وقد استخرج الاستاذ رخصة بتحضير عقار يشتمل على الحديد والنحاس بالنسبة المطلوبة

عناصر الشمس

ألقى الاستاذ هنري نورس رسل استاذ الفلك في جامعة برنستن خطبة في المعهد السمثسوني قال فيهِ ان علماء الفلك الطبيعي مدينون كثيراً لآلة الحل الطيفي (السبكترسكوب) ففي منتصف القرن الماضي ابدى الفيلسوف اوغست كونت يأسهُ الشديد في امكان الكشف عن العناصر التي تتألف منها الشمس ولكن البحث السبكترسكوبي الحديث اثبت ان ستة من العناصر الارضية وهي الصوديوم والمغنيزيوم والسليكون والبوتاسيوم والكلسيوم والحديد — تكوّن ٩٥ في المائة من الابخرة الغازية في الشمس وان ستة عناصر اخرى تكوّن تسعة اعشار الباقي . والظاهر ان نسبة الغازات في الشمس الى كتلتها هو كنسبة الغازات في الارض الى كتلتها . ومما قالهُ ان في « الفوتوسفير » وهو طبقة الشمس الخارجية اوجوّها المتأجج نحو ٥٠٠ مليون طن من البلاتين

الجزء الثالث من المجلد الثاني والثمانين

صفحة
٢٥١ الأزمة الاقتصادية العالمية
٢٦٣ بعد مائة سنة
الماء : لادلر
الاقتصاد : انشايس
المواصلات : لاميليا ارهرت
الاسرة : لرسل
العلم : لهكسلي
التعليم : لوثر
٢٧٢ جون فاروردي (مصوّرة)
٢٧٥ ايتها الاشباح (قصيدة) . لعبي محمود طه المهندس
٢٧٧ كيف نفهم التطور . للاستاذ السر ارثر طمسن (مصوّرة)
٢٨٤ معرض المذاهب السياسية . للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٢٨٨ شذوذ الاعضاء في الانسان . للدكتور عبده رزق
٢٩١ حاجتنا اللغوية الى مجمع يوثق به . للسيد محب الدين الخطيب
٢٩٨ الاستاذ سايس وقدم العمران (مصوّرة)
٣٠٢ مهاتما غاندي . لاسماعيل مظهر
٣١١ غرائب المقاييس الطبيعية
٣١٦ الشاعر والسلطان الجائر (قصيدة) . لايليا ابو ماضي
٣١٩ الادب واطواره . لمصطفى جواد
٣٢٦ بيسان وآثارها . لداود ت . فيشر (مصوّرة)
٣٣٢ اللحن الضائع (قصيدة) . لحسن كامل الصيرفي
٣٣٣ الاوركستر (قصة مصرية) . لعبد المجيد سالم
٣٤٠ احمد صديق بك . لنقولا شكري (مصوّرة)
٣٤٤ باب شؤون المرأة وتدبير المنزل * الغاية من الزواج . لحنوك الس . العين غذاء ودواء . لعوض جندي
٣٥٢ باب المراسلة والمناظرة * اغلاط كتاب الزهرة . لزكي مبارك
٣٦٠ مكتبة المقتطف * فجر الاسلام — لمحمود محمد شاكر . المراجل — لحسن كامل الصيرفي . من الارز الى الزوزا . لمحمد حياته ومنتقده — لطاهر خيري . رسالة تاريخية . علم الطبيعة . في الصيف . تاريخ مصر السياسي الحديث — لتوفيق وهبه . اقلاد الجواهر . المحاسن الغنية
٣٧٤ باب الاخبار العلمية * وفيه ٩ نبذ

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها ادارة المطبعة العصرية بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

صندوق بوستة ٩٥٤ مصر تليفون رقم ٥٩٧٣٦

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثالثة)
٣٥	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة اولى)
٧٠	القاموس العصري عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	القاموس المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٥	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
١٥	قاموس الجيب انكليزي عربي فقط
٧٠	« سفراط سبيرو عربي انكليزي (بالنقط)
٥٠	« سفراط سبيرو انكليزي عربي (بالنقط)
١٠٠	« سقراط انكليزي عربي وبالعكس
٦٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالنقط)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
٢٠	مراجعات في الادب والفنون (للاستاذ عباس العقاد)
١٥	روح الاشتراكية (لنوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد زغيب)
١٥	روح السياسة « « «
١٠	الآراء والمعتقدات « « «
١٥	اصول الحقوق الدستورية « « «
٢٠	الحضارة المصرية (لنوستاف لوبون)
٨	مقدمة الحضارات الاولى « «
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٢	ماني السبيل في مذهب التشوء والارتقاء
١٠	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات سلامه موسى
٨	نظرية التطور واصل الانسان « «
٢٠	انا تول فرانس في مباذله (الامير شكيب ارسلان)
١٥	الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نوسسها (حسين عبدالله)
١٠	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع نمر مشور معسور
١٠	رسائل غرام جديدة (للاستاذ سليم عبدالواحد)
١٠	الغريب في الادب المصري (للاستاذ خمائين نعيمة)
٥	حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ دلي فري)
٥	خواطر حائر (« « الاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكرا وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٢٥	المرأة وفلسفة التناسليات (للدكتور نظمي)
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها « «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد العاوي)
١٠	تاييس « « «
٥	مكايد الحب في تصور الملوك (اسمعيل داغر)
١٠	القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠	رواية فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨	رواية الانتقام الغريب (اسعد خليل داغر)
٥	فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	رواية باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	غرام الراهب او الساحرة المجنونة
٧٥	رواية روكامبول ، ١٢ جزء (مطانيوس عبده)
٢٥	رواية ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠	رواية بارديليان ، ٣ اجزاء «
٢٠	رواية الملكة ايزابو ، ٤ اجزاء «
٢٠	رواية الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠	رواية عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦	رواية كابيتان ، جزآن «
١٦	رواية الوصية الحمراء ، جزآن «
١٢	رواية طليرج ، جزآن «
١٠	رواية فارس المقنع «
١٠	رواية ضحايا الانتقام «
٥	رواية المتكرة الحمقاء «
٥	رواية منوضة الاسود «
٥	رواية شهداء الاخلاص «
٨	رواية المرأة المفترسة «
١٦	رواية دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« قرنسوا الاول « «

مكتبة العرب

لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني

بشارع الفجالة بمصر

من اكبر المكاتب واوسعها نطاقاً حاوية على جميع الكتب النادرة من الكتب المطبوعة في جميع الاقطار ولها قائمة مطولة ترسلها مجاناً وايضاً قائمة بالكتب الخطية النادرة وتطبع وتشارك المؤلفين في طبع مؤلفاتهم ولها معاملات مع اكبر مكاتب اوربا واميركا والشرق الاقصى والادنى وتلبي جميع طلبات المهاجرين بأسرع ما يمكن

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت لدعاية عن الشؤون البرازيلية ومآتي الزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل

وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الاصلاح

مجلة ثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

بعض مختبرات

مقتطف طابع القبل

الله والشاعر

قصيدة للشاعر علي محمود طه

في أي طريق تساق الحضارة

لاسماعيل مظهر

فلسفة تاريخ الفلسفة

لطه آدم

الراديوم والسرطان

بحث علمي عملي

الأديب ولز

الدكتور ابراهيم ناجي

مراجع المقتطف

منشئه الكبار — مركز الاقتصادي